دراسات في رسائل النور

إخلاص الإمام

بديع الزمان سعيد النورسي وخدمة القرآن الكريم

تأليف
الأستاذ الدكتور
عابد توفيق الهاشمي

SÖZLER PUBLICATIONS

إخلاص الإمام بديع الزمان النورسي

ودعوة القرآن الكريم

أ. د. عابد توفيق الهاشمي[P]

مقدمة:

ما أبرك الوفاء وأكرمه! انه لبّ الحياة ونورها، لقد تسلمت بطاقة معايدة واستضافة للمؤتمر، وإسهام فيه ببحث، من قبل تلميذي الوفي الذي فارقته قرابة نصف قرن – مدير مركز بحوث رسائل النور – الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، منذ عام ١٩٥٠ أولى سنوات تدريسي! كما تسلمت من أخي الفاضل الأمين العام للمؤتمر. أ.د. فارس قايا، دعوة بإسهامي فيه. فشكر الله لهما هذه الدعوة الكريمة، داعيا أن يكون لبحثي المتواضع تعريف بأبرز صفة من صفات إمامنا الصالح (بديع الزمان النورسي) – رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته، وتولّ دعوته وجماعته بحفظه – اللهم آمين.

لقد فتّ بعضدي ندرة المصادر عن إمامنا، وأنا في اليمن للسنة السابعة بعيداً عن العراق حيث المصادر، فإذا ببركات تلميذنا البار تسعفني بالمكتوبات واللمعات، وببديع الزمان النورسي – فكره ودعوته)، فاشتد ساعدي أن أكتب البحث، وعقدت العزم على ذلك، فإذا بي إزاء بحرٍ خضمّ لا يشقّ غباره، تتلاطم أمواجه الدفاقة في عشرات من الموضوعات التي فاضت بها دعوته.

وبعد أن استعرضت المصادر الثلاثة بشغف واستقصاء، وقفت على أفضل مجال في دعوته، وهي (ربطها بالإخلاص في القرآن)، إذ هو الخيمة التي تغطي سائر حياته، وتفيض منها ينابيع الحكمة، لتكون نبراساً للدعاة، المتطلعين إلى الوسائل الرصينة المثمرة في بناء المسلم اليوم – فرداً وجماعات، وأمة.

غير أني حين خضت غمار النقاط الأساس في شعاب إخلاصه، وجدتني مقصراً في حق إخلاصه النادر أن أوفيه حقه فيه، فانتقيت بعضها في هذا البحث، وأرجأت الكثير، إلى كتاب اعتزمت إصداره

P من مواليد سنة ١٩٣٠م في الموصل – العراق.حصل على الماجستير من امريكا في التربية وطرق التدريس ، والدكتوراه من جامعة القرآن الكريم بالسودان في العقيدة والأديان. تولى مناصب إدارية عديدة منها عمادة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد .وحاليا أستاذ في كلية التربية جامعة صنعاء – اليمن. بلغت كتبه المنشورة (٤٥) كتابا في المجال الإسلامي والتربوي.

قريباً إن شاء الله، تحت عنوان (إخلاص الإمام الداعية –بديع الزمان النورسي)، لعليِّ أوفيه بعض إحسانه في شرح صدور الدعاة إلى الله في نهجه القويم.

الفصل الأول
الإسلام إخلاص

توطئة:

لا إسلام بلا إخلاص! ألا فليفهم المسلم هذه الحكمة المستقاة من الخالق الهادي، ذلك أن الله تعالى حصر أوامره لعباده بإخلاصهم في طاعته في كل أمر من أمور الحياة (**وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين، حنفاء،...**)[1]، فان وُجِد الإخلاص وُجد الإسلام، وان فُقِد رحَلَ!

والإخلاص هو إتقان كل ما يصدر عن المسلم من نية أو فكر أو إرادة أو سلوك، أو قول أو كتابة أو أي جهد في أي عمل دنيوي،... واستشعار رقابته عز وجل في كل ذلك!

إذا مـــا خلـــوتَ الـــدهرَ يومـــاً فـــلا تقـــل:
خلـــوتُ، ولكـــنْ قـــل: علـــيّ رقيـــبُ
ولا تحســـــبنّ الله يغفـــــل ســـــاعةً
ولا أن مـــــا تُخفـــــى عليـــــه يغيـــــبُ!

ولو اقتصرت الحياة على الدنيا فحسب لهان الأمر، ولكن الحساب ينتظرنا في ذرات الإخلاص وركائزه! (**إن إلينا إيابهم، ثم ان علينا حسابهم**)[2]، (**فوربك لنسألنهم أجمعين، عما كانوا يعملون، فاصدعْ بما تؤمر وأعرض عن المشركين**)[3].

ولـــــو أنّـــــا إذا متنـــــا تُركنـــــا
لكـــــان المـــــوت أهـــــونَ كـــــل شـــــيء!
ولكنـــــــا إذا متنـــــــا بُعِثنـــــــا
ونســـــأل بعـــــده عـــــن كـــــل شـــــيء!

وان سِرّ نكبة المسلمين نسيانهم الإخلاص في تعاملهم مع ربهم ومع نبيّهم ومع إخوانهم والناس أجمعين، ونسيانهم الإخلاص في أعمالهم الدنيوية من زراعة وتجارة وصناعة ومهارات يدوية،... نسوا الله في سلوكهم، فنساهم ربّ العالمين: (**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون**)[4]، ومن نساه الله عاش أضلّ من الدواب! لا دين ولا دنيا له، كما انتهينا!

وديـــــن محمـــــد قـــــد أهملـــــوه
فعاشـــــوا في الخلائـــــق مهمَلينـــــا![5]

وما على المسلم في التماس إخلاصه والثبات عليه إلا أن يزيح التراب عن هدي محمد ﷺ ويصغي بأذنيه وقلبه، ويعلن للدنيا قاطبة ان لا أسوة إلا به:

يـــا هـــذه الـــدنيا أصـــغي وأشـــهدي

---

١ سورة البينة– الآية ٥١.
٢ سورة الغاشية– الآية ٢٦.
٣ سورة الحجر– الآية ٩٢ – ٩٤.
٤ سورة الحشر– الآية ١٩.
٥ محمد اقبال.

أنـــــا بغـــــير محمـــــد لا نقتـــــدي!

قـــــرآن ربـــــك يـــــا محمـــــد عزّنـــــا
ونظامنـــــا الـــــداعي لعـــــيش أرغَـــــدِ[٦]

وعلى المسلم أن يهتف ضميره أبداً برسالة الهادي (عليه افضل الصلاة والسلام):

فى ضـــــميرى دائمـــــاً صـــــوتُ النـــــبى
آمـــــراً: جاهـــــد وكابـــــد واتعـــــبِ
صـــــائحاً: غالـــــب وطالـــــب وادأب
صـــــارخاً: كـــــن أبـــــداً حُـــــرّاً أبِى
كـــــن ســـــواءً: مـــــا اختفـــــى ومـــــا علـــــن
كـــــن قويـــــاً: بالضـــــمير والبـــــدن
كـــــن عزيـــــزاً: بالعشـــــير والـــــوطن
كـــــن عظيمـــــا: في الشـــــعوب والـــــزمن[٧]

المسلم الذي في ضميره هتاف قائده ومربيه ﷺ: (من استوى يوماه فهو مغبون)؟!٨ الإخلاص رائده، والوقت حركته، يسابق فيه الريح بسرعته وإنتاجه، إذ في قلبه ساعة دقاقة، تذكّره بأجَله، وبرسالته، ليجمع مع الإتقان الطاقة الكامنة والسرعة الفائقة، لئلا يفوته الركب:

دقـــــات قلـــــب المـــــرء قائلـــــة لـــــه:
ان الحيـــــــاة دقـــــــائقٌ وثـــــــوانى
فاعمـــــل لنفســـــك قبـــــل موتـــــك ذكرهـــــا
فالـــــذكر للإنســـــان عمـــــرٌ ثـــــانِ

وهو القيِّم على البشرية وقائد ركبها في الدنيا، ومسؤول عن قوامته يوم الحساب: (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا**)٩!!

و(**لأن يهدي الله على يديك امرأً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت**)١٠.

أولاً: الإخلاص نبع الإسلام.

ليس كالإسلام نظام يقيم الحياة، ويرسيها على بناء محكم رصين، لا تصدّع فيه ولا اضطراب: (**وبالحق أنزلناه، وبالحق نزل**)[١١] ، ولا وزن لهدي البشر إزاءه مهما كان عطاؤه نوعاً، وكمّاً (وإنّ فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[١٢] ، ومَن الإنسان إزاء خالقه؟! (**أفمن يخلق كمن لا يخلق، أفلا تذكّرون**)؟![١٣] لذا كان هديه تعالى هو الوحيد الذي يهتدي به المسلم: (**قل:إن هدى الله هو الهدى، وأُمِرنا لنسلم لربّ العالمين**)[١٤]. والصدّ عن

---

٦ وليد الأعظمي – الشاعر المجاهد العراقي.
٧ مصطفى صادق الرفاعي.
٨ حديث نبوي – (الدرر – والكشف – والأسرار).
٩ سورة البقرة– الآية ١٤٣.
١٠ متفق عليه، وفي رواية: (من الدنيا وما فيها) ورواية أخرى: (من حمر النعَم).
١١ سورة الإسراء – الآية ١٠٥.
١٢ رواه الترمذي والبيهقي في الشعب.
١٣ سورة النحل – الآية ١٧.
١٤ سورة الأنعام – الآية ٧١.

هديه عز وجل هو المنطق الجاهلي: (**أفحكمَ الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**)؟ [١٥] فإما حكم الله وإما حكم الجاهلية بنوعيها- القديمة والحديثة! ولا توسط بينهما. والإسلام نظام شامل للحياتين الدنيا والأخرى: (**ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**)[١٦].

أما الإخلاص فهو إتقان كل ما يتناوله المسلم، في واقع حياته،وهو وصية الله تعالى لرسوله الحكيم، بل هو مطلعها: (أوصاني ربي بتسع- أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص في السرّ والعلانية ، والعدل في الرضى والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرا)[١٧]، بل ان الوصايا الثمانية بعد الإخلاص، إذا حللناها وجدناها إخلاصاً محضاً.

والإخلاص إتقان- يتجاوب مع القيم الإسلامية: الصدق، والأمانة، والوفاء، والإيثار، والتضحية، والحب النقي، والتماسك، والتعاون، والرحمة، والإخاء، والعدل، والكسب الحلال، والإنفاق في الحلال، والاقتصاد والزهد، والورع، والكرم ، والشجاعة في الحق، والجبن في الباطل، والتواضع،... كلها بناء رصين للفرد والمجتمع، بسبب الإخلاص، وجميعها أكد عليها الإمام الورع بديع الزمان، بقلمه ولسانه وواقع حياته.

ونقيضه الغدر والخيانة (المكر والخديعة والخيانة في النار)[١٨] ، والكذب والأنانية والهوى والمصلحة والحسد والغيبة والنميمة والظلم والبغض وتمزيق الصف والوشاية والإسراف والبخل والجبن في قول الحق، والتهور والكبر كلها هدم وتدمير للفرد والمجموع بسبب نبذ الإخلاص، وجميعها حذّر منها إمامنا الصالح ﷺ!

لذا فإن المصطفى ﷺ امتدح المخلصين حيث قال: (طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى، تنجلى عندهم كل فتنة ظلماء)[١٩]، وحّذر ﷺ من نقيض الإخلاص وهو كثير، ومنه الكبر والحرص والحسد والزنى: (وإياكم **والكبر**، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم.

وإياكم **والحرص**، فإن آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة.

وإياكم **والحسد**، فإن بني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً.

فهنَّ أصل كل خطيئة.

وإياكم **والزنى**، فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء عن الوجه، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن، ويوجب الخلود في النار).[٢٠]

ثانياً: مكانة الإخلاص عند الله ﷻ:

١: الإخلاص جوهر العبادة:

---

١٥ سورة المائدة – الآية ٥٠.
١٦ سورة النحل – الآية ٨٩.
١٧ أخرجه رزين.
١٨ رواه أبو داوود.
١٩ أخرجه أبو نعيم
٢٠ أخرجه الطبراني- عن ابن عباس

حين استقصائنا لكلمة (الإخلاص) في كتاب الله الحكيم، نجدها مرتبطة بالعبادة وهي طاعة الله في كل أمر، والإعراض عن طاعة ما سواه: (**وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وذلك دين القيمة**)[٢١] .

فالدين القيِّم هو **الإخلاص** في عبادة الله، وصدق الالتزام بدينه – بنظامه الحيوي – مع الإعراض عن هدي غيره، وإن هذا الدين القويم هو أمر الله لجميع البشر على لسان الأنبياء، تأكيداً منه عز وجل على أن الدين القيّم نبعه الإخلاص وجوهره.

ولقد تكرر ارتباط الإخلاص بطاعة الله لدينه في كثير من نصوص القرآن الكريم[٢٢] وربط القرآن الكريم ، أعمالنا بالإخلاص له عزّ وجل: (**... ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم، ونحن له مخلصون**)[٢٣].

بل ان حياتنا كلها موقوفة على الإخلاص لله: (**قل: إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين،لا شريك له ،وبذلك أُمِرت، وأنا أول المسلمين**)[٢٤].

مقام المخلصين عند الله تعالى :

إن من ثمار الإخلاص أن لا يزيغ صاحبه عنه، فلن يقدر الشيطان أن يغويه لصلابته في الحق الصادر من الله: (**الحقُّ من ربك، فلا تكوننّ من الممترين**)[٢٥] ، (**فماذا بعد الحقّ إلا الضلال**)[٢٦] ؟! لذا فإن الرحمن يعصم المخلصين من إغواء الشيطان، بل هو وعد من الشيطان للرحمن ألا يُغوي المخلصين: (**قال: فبعزّتك لأُغوينَّهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين**)[٢٧]، والمخلَصون أعزّ من المخلِصين، إذ الله تعالى أخلصهم له: (**واذكر في الكتاب موسى، إنه كان مخلَصاً، وكان رسولاً نبيا**).[٢٨] فالإخلاص ضمان لإبعاد صاحبه عن إغواء الشيطان، وعن الإسفاف في السوء: (**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، وإنه من عبادنا المخلَصين**)[٢٩].

والله عز وجل يُثبّت المخلصين على طاعته، كما يحول دون انحرافهم عنه: (**يُثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويُضِل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء**).[٣٠]

والمخلص لله في طاعته، معرَّض للذنب، إذ هو بشر: (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[٣١]، ويشهد القرآن الكريم بأن وساوس الشيطان تصيبه، ولكن لا يستجيب لها: (**إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا، فإذا هم مبصرون**).[٣٢] والإخلاص درع وقائي للعفو والمغفرة من الله عز وجل:

---

٢١ سورة البينة – الآية ٥.
٢٢ ومنها : (ألا لله الدين الخالص) الزمر/٣
- (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق، فاعبد الله مخلصاً له الدين) الزمر/٢
- (قل: إني أمرتُ أن أعبد الله مخلصاً له الدين) الزمر/١١
- (قل: الله أعبد مخلصاً له ديني) الزمر/٤
- (فادعوا الله مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون) غافر/١٤.

٢٣ سورة البقرة – الآية ١٣٩.
٢٤ سورة الأنعام – الآية ١٦٣
٢٥ سورة آل عمران – الآية ٦٠.
٢٦ سورة يونس– الآية ٣٢ .
٢٧ سورة ص– الآية ٨٣ .
٢٨ سورة مريم– للآية ٥١.
٢٩ سورة يوسف– للآية ٢٤
٣٠ سورة إبراهيم– الآية ٢٧
٣١ حديث صحيح.
٣٢ سورة الأعراف– الآية ٢٠١

كـــــل الـــــذنوب، فـــــإن الله يغفرهـــــا
إن شـــــيّع المـــــرءَ إخـــــلاص وإيمـــــان
وكـــــل كســـــر فـــــإن الله يجـــــبره
ومـــــا لكســـــر قنـــــاة الـــــدين جـــــبران[٣٣]

أما مقام المخلص عند ربه، فيتجاوب مع مكانة ربه عز وجل في قلبه. سئل المصطفىﷺ: يا رسول الله ما مقامي عند ربي؟ سؤال خطير، يتساءله كل مسلم، ليعرف الجواب. فأجابهﷺ جواباً أدق من سؤاله، جواباً يشفي الغليل. قال ﷺ: (مقامك عند ربك كمقام ربك في قلبك).

ثالثاً... مكانة الإخلاص في قلب المسلم

باتخاذ الله تعالى غاية في الحياة – غاية لنا في النوايا، فلا ننوي إلا بما يرضيه عز وجل، وغاية لنا في الإرادة والتصميم، فلا نعقد العزيمة إلا بما يرضيه سبحانه وتعالى، وغاية لنا في القول: (**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**)[٣٤].

وغاية لنا فيما نكتب:

ومـــــا مـــــن كاتـــــب إلا ســـــتبقى
كتابتُـــــه ، وإن فُنيـــــتْ يـــــداه

فـــــلا تكتـــــب بكفـــــك غـــــير شـــــيء
يســـــرّك في القيامـــــة أن تـــــراه

وغاية لنا فيما نعمل: (**فمن كان يرجو لقاء ربّه، فليعمل عملاً صالحاً، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**)[٣٥]، قالها المصطفى ﷺ لأحدهم حين سأله: يا رسول الله إني أقف الموقف، أريد وجه الله، وأريد أن يُرى موطني، فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية الكريمة.

فلا ينحرف المخلص عن الله غاية في نواياه وسلوكه، إلى الشهرة.. إذ (أن أدنى الرياء شرك)[٣٦].

ومن خلال استقصاء عنصر الإخلاص في سلوك المسلم، أنه الملاذ الوحيد من سخط الله سبحانه وتعالى، فإن انحرف المسلم عنه كان أول من يحق عليه انتقام الله وعقابه في الآخرة بأن تسجَر به النار: (ان أول من يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها ، فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل ، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلّمه القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمتُه، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت، ولكنك تعلمت ليُقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه، حتى أُلقي في النار.

ورجل وسّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأُتِي به فعّرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحبّ أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: جواد، فقد قيل، ثم أُمِر به فسحبُ على وجهه، حتى أُلقي في النار)[٣٧].

---

٣٣ أبو الفتح البستي.
٣٤ سورة ق– الآية ١٨.
٣٥ سورة الكهف– الآية ١١٠.
٣٦ متفق عليه.

هذه أربعة أصناف يظنها الناس من الزواية الظاهرية: شهيداً وعالماً ومقرئا، ومنفقا في سائر مجالات الخير ، ويتمنون أن يرقوا إلى منزلتهم، غير أن انحرافهم عن الله إلى حب الشهرة لأنفسهم، جعلهم أوائل من يقذفون في النار.

الإخلاص هو التجرد لذات الله وحده: (**ففرّوا إلى الله، إني لكم منه نذير مبين**).[٣٨] سأل أبو بكر الصديق ﷺ: ما تقولون في قوله تعالى: (**إن الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا**)[٣٩] قالوا: لم يذنبوا. قال ﷺ: (لا،... استقاموا، وفلم يلتفتوا إلى الهٍ غيره)، إذ أن مفهوم الاستقامة عند الصديق الورع المخلص أن يثبت المسلم ببصيرته إلى الله في سلوكه وفي نواياه، لا يزيغ به عنه، فإن زاغ إلى غيره بخطأة فقد أشرك! هذا هو الورع ونقاء الإخلاص لربه ، ومن وصايا فقيه المدينة المنورة العالم الورع (أبو حازم) في إخلاص الطاعة لله عز وجل قوله: (شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة: تحمل ما تكره إذا احبه الله، وتكره ما تحب إذا كرهه الله عزّ وجل). وبهذا النهج من السلوك يكون الله تعالى غاية لنا في كل ما نحب ونكره، بل هو مصداق الإيمان: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به)[٤٠].

فلا خيار لنا إزاء ما اختار لنا الله عزّ وجل من حياة : (**وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة**)[٤١].

بل علينا الاستسلام الكامل في طاعة الله إذ ان هديه هو الهدى الوحيد الحق: (**قل ان هدى الله هو الهدى، وأُمِرنا لِنُسلِمَ لرب العالمين**)[٤٢] . نسلم تسليماً لا تعقيب عليه ولا اعتراض، وإنما هو الخضوع المطلق، والاطمئنان الكامل إلى نهجه المستقيم: (**والله يحكم لا معقِّب لحكمه، وهو سريع الحساب**)[٤٣] ، (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرة من أمرهم، ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينا**)[٤٤].

والإخلاص هو الشعور بالتقصير إزاء شكر الله: (**انَ الذين هم من خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وَجلة، أنهم إلى ربهم راجعون، أولئك يسارعون في الخيرات، وهم لها سابقون**)[٤٥]. سئلت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ عن معنى الآية (والذين يؤتون،...)، فقالت: (الرجل يسرق ويزني ويخاف الله؟) قال ﷺ: (بل الرجل يصلّي ويصوم ويتصدّق، ثم يخاف ألاّ يتقبّل منه).

تلك أربع صفات أصيلة للمؤمن الذي يسارع في الخيرات ويسابق إليها، إذ هو البنّاء للحياة الكريمة:

أولها: خشية الله، والإشفاق منها، وتلك الدافع السلوكي للمسلم في كل نية وإرادة وعمل وقول والتزام واستقامة ودعوة وجهاد.

---

٣٧ رواه مسلم والترمذي والنسائي.
٣٨ سورة الذاريات – الآية
٣٩ سورة فصلت– الآية ٣٠.
٤٠ حديث صحيح.
٤١ سورة القصص–الآية ٦٨.
٤٢ سورة البقرة– الآية ١٢٠.
٤٣ سورة الأحزاب– الآية ٣٦.
٤٤ سورة الأحزاب– الآية ٣٦
٤٥ سورة المؤمنون– الآية ٥٧ والقلوب الوجلة هي الخائفة ألاّ تقبل أعمالها.

وثانيها: الإيمان بآيات الله – أي التسليم المطلق والطاعة لنظامه الذي شمل الحياة بآفاقها بعد فهمه وإجلاله والالتزام به.

وثالثها: عدم الشرك بالله، إذ هو غاية في سلوك المسلم، لا ينحرف عنها، والاّ وقع في الشرك – نعوذ بالله منه.

ورابعها: اتهام النفس بالتقصير في سلوكه، إزاء عِظَم الثلاثة السابقين – الدافع السلوكي خشيه الله، والخضوع لنظام الله في سائر شؤون حياته، والغاية الوحيدة في حياته (الله خالقه وهاديه) لا ينحرف عنه حتى يغرغر!!

فالمسلم مهما يرقى في عمل الخير يجد نفسه مقصراً، فيسابق غيره، كما يسابق نفسه ويسارع إليه، كي يرضى عنه ربه عزّ وجل: (**ورضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم**)[٤٦].

والإخلاص هو الثقة التامة بالله من غير خوف من غيره إذ هو يكفينا: (**أليس الله بكافٍ عبده**)[٤٧]، لذا قال أحدهم: (لو انفضّ الناس جميعا من حولي، واهتزّت مني شعرة، فقد كفرتُ بالله)! وهذا الشعور يجمل بالمسلم أن يستحوذ عليه تمام الاستحواذ! ليتعلق قلبه بالله صدقا ويقينا:

سجدة للإله تنجيك يا انـ
ـسانُ من ألفِ سجدةٍ للعبيد!

ومن حق المسلم المخلص أن يضع نصب عيني قلبه الله، فالله عز وجلّ ملء سمعه وملء بصيرته، ومن سواه لا وزن له إلا بقدر تجاوبه معه تعالى بإخلاص:

ألا كلُ شيءٍ –ما خلا الله –باطلُ –
وكلُّ نعيم –لا محالة – زائلُ[٤٨]

فلا سَهَرَ إلا له عز وجل، ولا خضوع ولا انقياد إلا له:

سَهَرَ العيون لغير وجهك ضائعٌ
وبكاؤهنّ لغير فقدك باطلُ!

وما الناس، بل ما الوجود كله إزاء رضوان الله والإخلاص له وحده؟!

اللهَ قل، وذر الوجودَ وما حَوَى
إن كنتَ مرتاداً بلوغ كمالِ
فالكلُّ –دون الله –إن حققتَه
عدم، على التفصيل والإجمالِ

والالتجاء إلى الله بصدق، مع التماس الأسباب– من غير ذلة: (التمسوا الحاجات بالعزة، فان الأمور مقدَّرات)[٤٩] ، هذا الالتجاء بصدق يمنح المسلم ما يطلبه منه، وعدا من الله عز وجل: (**والذين اهتدوا زادهم هُدَى ، وآتاهم تقواهم**)[٥٠]، والهداية والتقوى أفضل منحة منه عز وجل، وهو يفيض علينا بكل ما ندعوه: (**وقال ربكم ادعوني، استجب لكم**)[٥١].

---

٤٦ سورة التوبة– الآية ٧١.
٤٧ سورة الزمر– للآية ٣٦.
٤٨ لبيد، قال فيه المصطفى ﷺ: خير كلمة قالها لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، أصاب في صدره وأخطأ في عجزه، إذ أن نعيم الجنة خالد.
٤٩ حديث نبوي
٥٠ سورة محمد – الآية ١٧
٥١ سورة غافر – الآية ٦٠

وإذا طلبـــــت مـــــن الحـــــوائج حاجـــــة
فـــــادعُ الإلـــــه، واحســـــن الأعمـــــالا
فليعطيـــــــك مـــــــا أراد بقـــــــدرة
فهـــــو اللطيـــــف لمـــــا أراد فِعـــــالا
ودع العبـــــــادَ وشـــــأنهم وأمـــــورهم
بيـــــد الإلـــــه يقلّـــــب الأحـــــوالا[٥٢]

فلا تحمل أيها المسلم بإخلاصك همّ الناس ، وثق بربك يغنيك عنهم، ويعزّك:
(أعزَ أمر الله يعزك الله)[٥٣]

وما أسعدك أيها المسلم المخلص لربك، بهذا الصفاء والنقاء في تعاملك مع ربك!

وحقّ لك أن تتوكل عليه في حلّك وترحالك، وفي هدأتك وجولتك، وفي كل حال تكون فيه: **(وما لنا ألاّ نتوكل على الله، وقد هدانا سبلنا، ولَنصبرنَّ على ما آذيتمونا، وعلى الله فليتوكل المتوكلون)**[٥٤].

الفصل الثاني
إخلاص بديع الزمان في عهديه

توطئة:

الإخلاص سرّ بين المخلص وربّه، ولا يعلم المخلصين إلا خالقهم، إذ هو عز وجل وحده علاّم القلوب! **(والله يعلم ما في قلوبكم، وكان الله عليما حليما)**[٥٥] .

غير أني استقرئ إخلاصه من خلال حياته، وواقعه منذ طفولته حتى وفاته، ولا أزكيه على الله .

عاش في دعوته ثلاثة ارباع القرن – ثلث القرن الأول في شبابه وكهولته، هو سعيد القديم!

والثلث الآخر مع اضافة بضع سنين قبيل وفاته – هو سعيد الجديد!

أما سعيد القديم فهو ذكاء وقاد، وعلم نادر، وخطيب مصقع، ومفسّر للقرآن، ومؤلف جليل ومجاهد شجاع، بل قائد المجاهدين، وأسير في جهاده، وداعية على كل أحواله، وسياسي محنك، وليس في سلوكه غبار على إخلاصه، كما أقوّمه، وكما قوّمه الباحثون، بل هو مثار اعجاب الجميع، ولكنه رأى أن وسيلته في الدعوة خاطئة، لم تثمر شيئا! ثلث قرن في مجال البناء، وانما هي جهود ضخمة لا بناء فيها، وهو يرى اضافة إلى هذا الافلاس في دعوته الخاطئة أنه تغبّر بحبّ المظاهر – من تكريم واعجاب الكثيرين، فاعتبر هذا ذنباً، وجريمة بحق نفسه وبحق الاسلام! ويفسر المحن التي لاقاها عقاباً ربانياً له.

أما سعيد الجديد، فهو كما كان من صفاته في القديم، باستثناء السياسة التي هجرها، لم يربح منها في اصلاح الأمة بشيء، وباستثناء الدنيا التي استدبرها واتجه بجميع طاقاته للآخرة، يدعو اخوانه إليها من غير راحة ولا هدأة، فبنى جيل الآخرة الذي هو عدّته للقاء ربه في الثواب، وعدّته ضد أعدائه، بأن غيّر

---

٥٢ أبو الأسود الدؤلي
٥٣ رواه الديلمي
٥٤ سرورة ابراهيم – الآية ١٢.
٥٥ سورة الاحزاب– الآية ٥١.

من اتجاه الشعب إلى الايمان التقى والإخلاص في القول والعمل، ولم يتدخل في شؤون دنيا خصومه، ولا في سياستهم وانما كان شعاره قوله تعالى: (**ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت، وما توفيقي الا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب**)![٥٦] ولعل دعوته في الاصلاح هي الوحيدة في عمر التأريخ في أنها دعوة رسائل مكتوبة باليد، يخدمها الاحاد، ثم العشرات المخلصون، ثم انتشرت كالنار في الهيشم، ولكن حيل بينه وبين إخوانه المسلمين، في سجون ومنافٍ واقامات جبرية ومراقبات تحصي عليه أنفاسه! ومحاكمات بلغت (٢٥٠٠) محاكمة، خرج منها بريئا! من قبل السلطة الحاكمة وزبانيتها، حتى لقي ربه!

ولقد كان سعيد الجديد – رحمه الله – امتدادا لجيل الصحابة، المتمثلة دعوته بنصيحة أبي الدرداء – رضي الله عنه – إذ يقول: (ثلاث من ملاك أمر ابن آدم: لا تشكُ مصيبتك، ولا تحدِّث بوجعك، ولا تزكّ نفسك بلسانك)[٥٧] وهكذا كان! ونصيحته كذلك: (لا اسلام الا بطاعة، ولا خيرَ الا في جماعة، والنصح لله وللخليفة وللمؤمنين عامة)[٥٨] ، وهكذا كان في دعوته، رحمه الله وأسكنه في علّيّين: (**مع الذين أنعم الله عليهم من النبّيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا،...**)[٥٩]، (**في جنات ونهَر، في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر**)[٦٠]

رحم الله امامنا الصالح النورسي، إذ كان يحب النور، ويستشعر به محاطاً بهالته! والنور للمؤمن – من نور القرآن وهديه، والظلمة للكافر – باعراضه وصدّه: (**وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور، ولا الظلّ ولا الحَرور، وما يستوي الأحياء والأموات، ان الله يُسمع من يشاء، وما أنت بمسمعٍ من في القبور. ان أنتَ الا نذير**)[٦١]

يقول الصحابي الجليل (أُبَيّ بن كعب) ﷺ خادم القرآن الكريم: (المؤمن بين أربع: إن ابتُلِي صبر، وان أُعطِيَ شكر، وان قال صدق، وان حكم عَدَل، فهو يتقلب في خمسة من النور، وهو الذي يقول: (اللهُ نورٌ على نور) – كلامه نور، وعلمه نور، ومدخله في نور، ومخرجه من نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة. والكافر يتقلب في خمسة من الظُّلَم: فكلامه ظلمة، وعلمه ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه في ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة)[٦٢].

ان أنواره كانت تشعّ من ظلمات سجونه ومعتقلاته وجهاده وجلاده لأعدائه، ولقد لقي من ابناء وطنه العلمانيين المنافقين العملاء من المتاعب ما لم يلقه من أعدائه الروس في معتقلاتهم!

كـــــم صـــــائنٍ عـــــن قبلـــــةٍ خَـــــدّهُ
سُـــــــلِّطت الأرض علـــــــى خـــــــدّه!
وحامـــــــل ثِقـــــــلَ الثـــــــرى جيـــــــده
وكـــان يشـــكو الضَّـــعف مـــن عِقـــده![٦٣]

ولقد عاش في أنوار ايمانه حياته كلها، في صراع مع المآسي الموصولة ولم يجزع ولم يشكُ لأحد إلا لخالقه قيوم السماوات والأرض:

---

٥٦ سورة هود – الآية ٨٨.
٥٧ حياة الصحابة/ج٣/٥١٠.
٥٨ حياة الصحابة/ ج٣/٥١٠.
٥٩ سورة النساء– الآية ٦٩.
٦٠ سورة القمر– الآية ٥٥.
٦١ سورة فاطر– الآية ٢٠ – ٢٤.
٦٢ حياة الصحابة ج٣/٥١٣.
٦٣ المعرّي.

فـــإن أمـــرض فمـــا مـــرض اصـــطباري
وإنْ أُحْمَـــمْ فمـــا حُـــمَّ اعتزامـــى
وإن أســـلم فمـــا أســـلم، ولكـــن
ســـلمتُ مـــن الحِمـــام إلى الحِمـــام[٦٤]

لقد عاش حياته للقرآن – حفظاً وتفسيراً والتزاماً ودعوةً وجهادا، وصدق فيه حديث المصطفى ﷺ: (مَنْ شغله القرآن وذكري عن مسألتي – أي دعائي – أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين، وفضل كلام الله سبحانه وتعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[٦٥]

وهو في حلاوة الإيمان، كذلك، اضافة إلى نوره في القلب: (ثلاثة من كُنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الايمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ اليه مما سواهما، وأن يُحِبَّ المرء لا يحبّه الا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذَف في النار)[٦٦]. ولقد كان كذلك. ولا أزكيه على الله.

لقد عاش امامنا الصالح في دعوة محمد ﷺ جهاداً وأملاً يضئ له الطريق:

ســـكت الزمـــان، وظـــلّ صـــوت محمـــد
كالرعـــد يقصـــف في رؤى الأحـــلام
أمـــلاً يحقـــق أجمـــل الأحـــلام
وتـــراً يجـــيء بأعـــذب الانغـــام
ســـدّاً يَصُـــدّ مســـارب الإجـــرام
نـــوراً يضـــيء علـــى مـــدى الأيـــام
(الله أكـــبر) عنـــد كـــل صِـــدام.[٦٧]

لقد كانت حياته – رحمه الله – ناراً وحمماً على أعدائه، فكانوا يهابونه، ويحسبون له حساب خمسين ألف انسان، كما هم يقولون، وكان هو بعزيمته المستمدة من هداية ربه ونصرته التي كفته: (**وكفى بربك هادياً ونصيرا**)، يتحدى اعداءه وأوروبا وراءها، وكيف لا يكون بايمانه كذلك، وهو يرى الرعاة لشعبه ذئاب!

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها

فكيـــف إذا الرعـــاة لهـــا ذئـــاب؟!

لذا فقد وهب نفسه لله من خلال انقاذه شعبه ووطنه من استبدادهم وغطرستهم:

بحثـــت عـــن هِبـــةٍ أحبـــوك يـــا وطـــني
فلـــم أجـــد لـــك الا قلـــبي الـــدامي[٦٨]

والصراع بينه وبين أهل الدنيا – هو اسلامه الذي لا حياة الا به، فان حِيل بينه وبينه حلّ الفناء!

قـــالوا: أتـــى الليـــثَ حـــلاقٌ يعلّمـــه
قـــصّ الأ ظـــافر تجمـــيلاً، كمـــا ابتـــدعوا

---

٦٤ المتنبي.
٦٥ رواه الترمذي والبيهقي في الشعب.
٦٦ رواه البخاري.
٦٧ وليد الأعظمي.
٦٨ الامام الشهيد محمد محمود الزبيري.

يـــا ليـــتُ: قلهـــا لـــذا الحـــلاق زجـــرةً:
إن المخالـــــب في كفـــــى هـــــى الشِّـــــبَعُ

والصراع قائم ما دامت الحياة، إذ هو سنتها، ولولاه لماتت الحياة، وحلّ الجمود فيها، ولما تذوقنا طعم الايمان والجهاد ولما ربحنا الجنة بصبرنا: (**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة! أتصبرون؟! وكان ربك بصيرا!**)[٦٩].

الامام بديع الزمان – سعيد بين عهدين

لقد عاش سعيد (القديم) و (الجديد) في حياة تموج بالشدائد والمحن، وما تشكّى، ولا تشاءم منها، في حاليه، بل كان يرى المحن أنواراً ساطعة تحيط به ما دام في دوامتها! وهو متفائل بها.

وكان ينادي أخاه (ملا حميد): " إنني محاط بالأنوار: ان القرية التي وُلدت فيها (نورس)، واسم والدتي (نورية)، وجدِّي (نوري)، والجامع الذي أبيت فيه (نورشين)، ثم تبسّم وقال: انظر إلى اللوحة المعلقة هنا على الحائط: كُتِب: (عثمان ذو النورين ﷺ)"[٧٠].

إنها أنوار في ضرائه وسرّائه! ولو لم يكن متجرداً لربه، نقياً في إخلاصه، لم يثبت ثبوت الجبال الشمّ في وجه الأعاصير! وصدق فيه حديث المصطفى ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن، إن إمرَه كله خير، وليس ذلك لأحد الاّ له، إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وان اصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له)![٧١]

فـــانْ تكـــن الأيـــامُ منـــا تبـــدّلت
بنُعمـــى وبُؤســـى، والحـــوادثُ تفعـــلُ
فماليّنـــت منـــا قنـــاةً صـــليبة
ولا ذللتنـــا للـــتي لـــيس تجمـــل!

يقسّم إمامنا الصالح حياته بين عهدين، مفصول كلٌ منهما عن الآخر بسور، وسنأتي عليهما، من خلال ما قصّ هو عن نفسه، وانني لا أرى في القديم والجديد إلا إخلاصاً يتفجرّ من قلبه المضطرم بالثورة على الواقع، ايجابا وسلباً، ولكنّ السبيل تختلف فيهما.

(سعيد القديم):

أما سعيد القديم فاستمر إلى عمر (٤٥) سنة، والجديد بعدها إلى (٨٧) سنة![٧٢]

مولده وطفولته: ولد ١٢٩٣هـ – ١٨٧٦م وتوفي ١٩٦٠، فعاش ٨٤ سنة[٧٣] في قرية نورس – في الانضول، نشأ في بيت ورع، هو مضرب الامثال، وعاش في بيئة تصوف نقي. والده كان مضرب الامثال – الصوفي ميرزا، لم يذق حراما، لاهو ولا أولاده، حتى كان إذا رجع ببقراته من المرعى شدّ أفواهها، لئلا تأكل من مزارع الآخرين[٧٤]، وأمه الصالحة (نورية) لا ترضع أطفالها الا وهي على طهر ووضوء، واخوه الكبير – الملا عبد الله – هو الذي عرّفه دينه وتقواه[٧٥].

---

٦٩ سورة الفرقان/ الآية ٢٠.
٧٠ بديع الزمان النورسي – فكرة ودعوته/١٤٧.
٧١ رواه مسلم
٧٢ اللمعات/٣٤٧.
٧٣ المكتوبات/ ٢١ و(بديع الزمان النورسي ٠ فكره ودعوته – احسان قاسم الصالحي/ ١٨ وفي (بديع الزمان النورسي – فكره ودعوته)/ ٣٤ عاش ٨٧ سنة – ولعلها، بحساب العام الهجري.
٧٤ بديع الزمان النو سي – فكرته ودعوته/ ١٢٠.
٧٥ المصدر السابق/١٢٠.

أما قريته الصغيرة، والقرى المحيطة بها، فكان اهلها صالحين، بما فيها من كتاتيب ومشايخ يتميّزون بالبساطة والصدق والكرم والنبل، رغم ضيق اليد والجهل والبؤس.

عاش امامنا في صغره في بيت إخلاص، وفي بيئه إخلاص حيثما توجه في قريته وطاف القرى المجاورة، فنمت فطرته، من خلال التربية والقدوة.

شبابه: كان للتصوف اثره البالغ في إخلاصه طوال عمره، فاعتكف في احدى الزوايا في مدينة (تللو)، متفرغاً لقراءة القرآن الكريم وحفظه، ولدراسة علومه، والحديث الشريف وعلومه، والسيرة المطهرة، والفقه وأصوله، وعلوم الاخلاق والكلام، كما تفرّغ إلى دراسة العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة وأدب، وحفظ القاموس المحيط للفيروز آبادي إلى حرف السين، وأجيز من قبل الشيخ محمد جلالي، الاجازة العلمية، وهو ابن اربع عشرة سنة! بعد أن أتقن أكثر هذه العلوم، ثم درس العلوم الكونية — من فلك وفيزياء وكيمياء وأحياء وجيولوجيا، وتاريخ وجغرافيا، ورياضيات، فاستوعب الحضارة الغربية المادية اضافة إلى الغربية الحديثة، وعلوم الاغريق وفلسفتهم.

وكان للقرآن الكريم الأثر البالغ فيه: روحا وعقلا ونفسا وجهادا، وكان استاذه ومرشده.

ذهب (الملا سعيد) إلى ماردين يلقي دروسه في مسجدها، وهو بعمر١٦ سنة، فأُخرج منها وسيق إلى بتليس، فأكرمه الوالي، فأقام فيها، وواصل دراسته، وحفظ ٨٠ متناً لثمانين كتاباً، ثم انتقل إلى مدينة (وان) بعمر ١٨ سنة عام ١٨٩٤ وكان يسمي في باكورة شبابه بـ(سعيد المشهور)، لذكائه وعلمه الجم، وقدراته المتميزة [٧٦]، وورعه.

رشده —: ولقد حمله ورعه وغيرته على إسلامه أن كان ردّ الفعل لتصريح كلادستون[٧٧] رئيس وزراء بريطانيا في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل العشرين أن قدّم امامنا مشروعا إلى السلطان عبد الحميد الثاني لانشاء جامعة إسلامية في شرقي الانضول على بحيرة (وان) باسم (مدرسة الزهراء) على غراء الأزهر، لدراسة العلوم الإسلامية والكونية، ولكن حلمه لم يتحقق، مع جهوده المضيئة في سبيله لعدة عقود، بل حتى وفاته، غير انه في عهد السلطان رشاد وضُعِ الحجر الأساس لجامعته (الزهراء)، ثم اعاقت الحرب العالمية الأولى المشروع.

ولقد عارض سعيد النورسي دخول الدولة العثمانية الحرب، غير أنه حين رأى الجيوش الروسية تستبيح الانضول من جهة الشرق عام ١٩١٢، وقبيل حرب البلقان، هيّأ جيشاً من المتطوعين الفدائيين، وعين قائداً له[٧٨]، وخاض حرباً ضروساً دفاعاً عن (بتليس)، وجُرح جرحاً بليغاً، ووقع في الاسر سنتين وأربعة أشهر، وأُقصى إلى معتقلات الاسر ش ق. روسيا، قرب سيبيريا، ولم يهدأ وهو أسير عن دعوته إلى الإسلام، كما كان يدعو يوسف الصديق عليه السلام في سجنه: **(يا صاحبي السجن، أأربابٌ متفرقون خير أم الله الواحد القهار)**[٧٩] ؟! وكان معه في الأسر (تسعون ضابطا)، حتى ان الضابط الروسي سمح له بحرية الصلاة والدعوة في سجنه، ثم هرب من الأسر حين انتصار الشيوعية ١٩١٧ وما صاحبها من

---

٧٦ بديع الزمان النورسي — فكرة ودعوته ص٣٤.

٧٧ وكان تصريحه أن أعلن في مجلس العموم البريطاني أن الذي يحيِّره في أمر العالَم الاسلامي أمور ثلاثة: صلاة الجمعه، ويوم عَرَفة في الحج، وهذا القرآن، فرفعه بيده، وقال: لا راحة للعالم ما دام هذا القرآن! فطفر على يديه شيخ من المجلس صليبي، فانتزع من يده القرآن، ومزّقه ورماه على الأرض، وداسه بقدمه! فأجابه غلادستون — اليهودي المتنصر الحاقد: يا غبيّ! ما قصدتُ تمزيق أوراق القرآن، وانما قصدت تمزيقه في قلوب المسلمين وعقولهم!!

فبدأ التخطيط المكثف لمحاربة الاسلام بمختلف الوسائل — أهمها المناهج الدراسيه ووسائل الثقافة والاعلام.

٧٨ بديع الزمان النورسي — فكرته ودعوته/١٤٨.

٧٩ سورة يوسف– الآية ٣٩.

فوضى في روسيا، ووصل استنبول باعجوبة، واستقبل من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام ومُنِح وسام الحرب، وكلفته الدولة بتسلم وظائف فرفضها الا عضوية (دار الحكمة الإسلامية)، وكانت لكبار العلماء، فنشر فيها أغلب مؤلفاته.

وكان لأسفاره أثرٌ بالغ في ثقافته الاجتماعية، إذ تنقّل بين المدن والقرى والنفي والتغريب، والتقى بالعلماء والوجهاء وعامة الناس- ورجال الحكم والادارة – السلطان عبد الحميد الثاني والسلطان رشاد، والوزراء، ومصطفى كمال، كما رحل إلى طرابلس المغرب، وبنغازي، واتصل بالشيخ السنوسي، وتعرّف إلى تنظيماته الروحية والعسكرية وزوايا الصوفية،... ورحل إلى الشام بعمر ٣٥ سنة، عام ١٩١١، وألقى خطبة نادرة في الجامع الأموي، التف حوله علماؤها،...

وبعد دخول الغزاة الانكليز والفرنسيين استنبول، الف كتابه (الخطوات الست) هاجم فيه الغزاة بشدة، وأزال فيه الشبهات المثارة على الإسلام، وأزال دواعي اليأس عند الكثيرين، وأيّد حرب، الاستقلال ضد الغزاة، فحكم عليه بالاعدام، ثم تراجعوا عن التنفيذ، خوفاً من ثورة المسلمين عليهم[٨٠].

ثم انه دُعي إلى انقرة عدة مرات فرفض مغادرة استنبول المستعمرة، للجهاد فيها، ثم توجه اليها عام ١٩٢٢، فاستقبل بحفاوة بالغة من قبل اركان الدوله، ثم عرض مشروعه في انشاء الجامعة الإسلامية فلقي القبول، ولكن ظروفا سياسية حالت دون اكماله.

الى هنا انتهت مرحلة حياة (سعيد القديم)، وعمره (٤٥) سنة، حيث رغبته بالانزواء والاعتزال، فبينا هو على (تل يوشع) المطل على البسفور، إذ بنفحات الآخرة ونسائمها تداعب روحه، وتشوقه إلى الرحيل اليها والخلود فيها.

ذلك (سعيد القديم) الذي لُقِّب بـ(بديع الزمان) – ماذا وجدنا في حياته الخمس والأربعين سنة!؟

انها طفولة ذكية، وتعلق بالقرآن والعلوم الإسلامية والعربية.

وشباب متجردّ ورع عفيف، وعلم دفاق اسلامي وكوني، وحماسة ملتهبة وغيرة إسلامية نادرة فيه، وقائد عسكري جرئ، وجهاد صلب ضد الكفر، وسجن وتشريد، وفقر وصبر، وهجر لمتع الدنيا حتى الزواج!

وكهولة ورعة– عالم وقور، وخطيب مصقع، وأسير يدعو إلى الله في سجونه ومنافيه، ومكانة مرموقة لدى جميع من قابلهم من الخلفاء والقادة المحنكين والمجاهدين الكبار، ومؤلف وداعية ومفسّر للقرآن الكريم، وطموح في انشاء الجامعة الإسلامية، وجهاد يتحدى فيه الموت، حتى حكم عليه بالاعدام، وأرادوا اغتياله بالسّم، ولكن الله سلّم.

اضف إلى ذلك عفته ونقاءه، إذ كان في شبابه وكهولته حتى الخامسة والاربعين أعزب، لا زوج له ، ولا ولد، كما هو يقول عن نفسه[٨١]، وبقي أعزب حتى وفاته.

لا يُغمر (سعيد القديم) بإخلاصه من قبل أي أحد إذ هو متدفق إخلاصاً، بل يتفجرّ من غير هدأة ولا ملل، إلا أن (سعيداً الجديد) – ينقد نفسه تواضعا وورعاً، كما ينقد اسلوبه الذي اختاره في دعوته في القديم.

(سعيد الجديد):

---

٨٠ المكتوبات/ ٩٣ – ٩٤،...

٨١ انظر اللمعات/٣٤٥ (لم يكن لي ثمة ما يربطني بالدنيا من مال وبنين وما شابههما)، واللمعات/٣٨٦ (ليس لي ابن أفكر فيه)، والمكتوبات/٥٩ (ليس لي اهل وأولاد أفكر فيهم) وعبد الفتاح أبو غدة في كتابه: العلماء العزاب/٢٤٤.

إن التغيرَ المفاجيء في حياته، كان خلاصة عمله السياسي المضطرم بالنشاط والخصوم لأهل الباطل بذكاء نادر وجهد موصول لا يكلّ، ثلاثين سنين حتى خلوته على جبل يوشع... فذهبت جهوده أدراج الرياح، كما يحدث هو عن نفسه بأسف بالغ، بل يعتبرها ذنوباً، يدعو الله تعالى أن يكون لسعيد الجديد في دعوته الجديد كفارة لها.

بل يرى (أنها صفعات عنيفة استمرت تهوي عليه منذ ثلاثين سنة على رأس سعيد القديم الغافل، ففكر في قضية أن (الموت حق)، ووجد نفسه غارقاً في الأوحال،...

استنجد وبحث عن طريق،... حتى هداه (فتوح القلوب) للشيخ عبد القادر الكيلاني إلى طريقه الجديد)[٨٢] ، كما هداه الامام الرباني السرهندي مجدد الالف الثاني، والملقب ببديع الزمان كذلك، كما لقّب الهمداني به في القرن الرابع الهجري، وكان كتاب السرهندي هو (الدرر المكنونات)[٨٣].

وكأنه أبصر بهذا النهج الجديد الذي اندفع اليه بكامل قواه أنه كان في ظلمة السياسة التي حجبت عنه حقائق الأنوار الايمانية، وكانها غريبة عنه، كما كان يشعر، فتوجه إلى الله تعالى أن يرزقه الإخلاص في النهج الجديد، اللائق للعمل الخالص لربه، وينقذه من الرياء والتذلل لاهل الدنيا[٨٤]. وأين هو من ذلك!! ولكنه التواضع لله، والاتهام للنفس، وهو سبيل الكمال.

انظر معي وتأمل في عروق الإخلاص والتواضع والزهد في اتهام نفسه: (ان شخصيتي الممسوخة من سعيد القديم، وهي عروق ظلت في ميزان سعيد القديم، تبدو احياناً رغبة في الرياء وحب الجاه، وتبدو فيّ أخلاقاً وضيعة، مع خِسّة في الاقتصاد، حيث أنني لست سليل عائلة ذات جاه ونسب. فيا أيها الاخوة، لن أبوح بكثير من مساوئ هذه الشخصية، ومن أحوالها السيئة، لئلا أنفرّكم عني كليا! فيا اخوتي لست أهلاً لمقام رفيع، ولا أملك استعداداً له، فشخصيتي هذه بعيدة كل البعد عن أخلاق وظائف الدعوة وآثار مهمة العبودية. فالنفس ادنى من الكل، والوظيفة اسمى من الكل، فالف شكر وشكر لله سبحانه، الحمد لله، هذا من فضل ربي[٨٥] .

إنه الإخلاص المجرّد الموزون بمراقبة الله ومحاسبته على دقائق حياته وما فيها من عمل!

إنه أدرك أن لا طائل وراء السياسة في ظرفه الذي عاشه منذ مئة سنة إلى سبعين سنة خلت، واحتسب جميع جهوده الضخمة غفلة، لأنه لم يجنِ منها شيئاً من خلال السياسة، إنه يقول: (خاطبت نفسي قائلاً: اعلم أيها السعيد العامل، أنه لا يليق بك أن تربط قلبك وتعلقه بما لا يرافقك بعد فناء هذا العالم، بل يفارقك بخراب الدنيا، فليس من العقل من شيء ربط القلب بأشياء فانية)[٨٦] . تأمل في نقده لنفسه، بميزان الإخلاص، كيف يقوّمها؟! ثم انه مع طاقته الهائلة في عمق الإيمان يعترف بعجزه عن تحدي الواقع المرير مواجهةً ومجالدة! (إن شخصاً عاجزاً مثلي ، لا يمكنه أن يستعمل النور والهراوة معاً في هذا الوقت، لذا فأنا مضطر إلى الاعتصام بالنور بما أملك من قوة ، فيلزم عدم الالتفات إلى هراوة السياسة أيّا كان نوعها. أما ما يقتضيه الجهاد المادي ، فتلك الوظيفة ليست مناطة بنا حالياً. نعم! ان الهراوة هي لوقف تجاوز الكافر، أو المرتد عند حدّه، ولكن لا نملك سوى يدين، بل لو كانت لنا مئة من الأيدي ،

---

٨٢ المكتوبات/٤٥٨،٤١٣.
٨٣ المكتوبات/٤٥٩،٤٥٨.
٨٤ اللمعات/٧٣.
٨٥ المكتوبات/٤١٢،٤١١.
٨٦ اللمعان/١٧٤

ما كانت تكفي إلا للنور، فلا يد لنا تمسك بهراوة السياسة)[٨٧] إنه روح! بل هو كلام من خبر السياسة وأضاليلها وضراوة وخشية أهلها وجبروتهم وطغيانهم، فأظهر العجز الصريح لتحديهم من خلال وسائلهم (السياسة) بالخداع والمكر!

كما اعتبر طريقه الجديد (ضرورة واضطراراً)، بسبب عدم قدرته وحده على مجالدة الطغاة، فلو تمكّن يوماً من ناصية الموقف، فلا بأس من هراوة السياسة، مع استمرار الجهد في تبليغ هدي الله، ولكنه العجز والاضطرار —كما أوضح إمامنا بقلمه، وكان يقول: (فصولجان السياسة لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت)[٨٨].

فهجر السياسة أمر وقتي باجتهاده الصائب، في حين أنه لا يرفضها نظيفة نفية من شوائبها، ولكن بعد حين مناسب لها، من بناء ضخم للجمهور الفقير بايمانه، وخائر العزائم بنفوسه. وفقهه في الدعوة الجديدة قائم على فقه الموازنات في الفقة الإسلامي، مثل (دفع المفاسد مقدّم على جلب المصالح) و (جلب أعظم المصلحتين واجب شرعا). فالسياسة في زمانه باجتهاده لا تصلح للوصول إلى الإيمان، ولكن بناء صرح الايمان ينتهي إلى السياسة.

لذا فقد اختط لنفسه طريقاً آخر من التحدّي هادئاً، لا ألاعيب للسياسة فيه، وهو طريق البناء، ليهدم بناؤه هذا في الختام بناء الطغاة! ومن له من العزائم ما يبني كيان الشعب ويصبر على الشدائد التي تقطعّ الأكباد كل يوم رغم مسالمته لهم! بسبب خلوده إلى البناء الذي سيقلب عروشهم يوماً ما على رؤسهم، وهو ما يحسب له الحساب الدقيق، وإن اعترافه بالعجز في ظروفه التي عاشها هو اعتراف ضمناً بأنه حين تمكنه وقدرته على أن يضرب بيد من حديد حين نضوج البناء، فلا يتراجع عنه، ولكنه يؤثر البناء الروحي والعقدي للشعب المسلم، ويستمر على ذلك، حتى لو كانت له مئة يد! ولولا الإخلاص الذي ينفث في روعه هذا الفهم وهذه العزيمة لما اهتدى إلى هذا الرأي السديد، ولما شق طريق الأهوال في تنفيذه: (والذين اهتدوا زادهم هدى، وآتاهم تقواهم)[٨٩].

نقطة التحول من سعيد القديم إلى الجديد:

ثم إن السياسة وما فيها من دجل وهوى وعصبيات شتى ومصالح ودنيا بما فيها من مغريات، إذا اقتحمها الدعاة غير المؤهلين إسلاماً فإنها تجتذبهم وترمي بهم في أتونها وخضم اسفافها!

حـــــــــلاوة دنيـــــــــاك مســـــــــمومةٌ
فمـــــا تأكـــــلُ الشَـــــهد إلا بسَـــــمٌّ[٩٠]

وقد ذمها شاعرنا المبارك أقذع الذم حين قال:

دنيـــــا تـــــداولها العبـــــاد ذميمـــــةً
شـــيبت بـــأكره مـــن نقيـــع الحنظـــل
وبنـــــات دهـــــر لا تـــــزال ملمّـــــةً
فيهـــا فجـــائع مثـــلُ وقـــع الجنـــدل

وهذا السبب المباشر الذي حمل إمامنا على النفور منها:

---

٨٧ اللمعان/١٥٨

٨٨ بديع الزمان النورسي — فكرته ودعوته/١٨٣.

٨٩ سورة محمد — الآية ١٧.

٩٠ إمام العلماء وأمير الحديث النبوي عبد الله المبارك ﷺ.

(رأيت ذات يومٍ رجلاً عليه سيماء العلم، يقدح بعالم فاضل، بانحياز مغرض، حتى بلغ به الأمر إلى حدً تكفيره، وذلك الخلاف بينهما حول أمور السياسة، بينما رأيته قد أثنى في الوقت نفسه، على منافق يوافقه في الرأي السياسي، فأصابتني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعذت بالله مما آلت إليه السياسة وقلت: (أعوذ بالله من الشيطان ومن السياسة)!

ومنذئذ انسحت من ميدان الحياة السياسية[٩١]. إنه الإخلاص الذي نفّر من مكر السياسة وفسادها.

العهد مع الله: أن ينذر حياته له وحده !

(لا علاقة لي قطعاً بالسياسة الجارية في الدنيا، فلقد نذرت حياتي وحصرت وقتي كله لنشر حقائق الإيمان والقرآن، لذا فليفكر جيداً من يتعرض لي ويتخذ موقف المنافس، إنه في حكم المتعرض للإيمان في سبيل الزندقة والإلحاد)[٩٢].

وقد ثبت على إخلاص العهد مع ربه حتى غادر الحياة، بما تعجز الجبال الشّم أن تحمله ! غادر حياة ذميمة بأطماعها، عزيزة بإيمانها ونذر النفس له عز وجل في بنائها ، وهو يخاطب اخوانه:(يا أخي إذا أحب الله عبداً جعل الدنيا تعرض عنه وتجافيه، ويريه الدنيا قبيحة بغيضة)[٩٣].

كان خليفة المسلمين الصديق ﷺ يقول: (ان العبد إذا دخله العجب بشيء من زينة الدنيا، مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة).

وإمامنا يهرب من الدنيا هروب الإمام الشافعي (رضي الله عنهما)، إذ يقول:

ومن يذق الدنيا، فإني طعمتُها
وسيق الينا عذبُها وعذابُها
فلم أرها إلا غروراً وباطلاً
كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همّهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سَلماً لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فطوبى لنفس أو لعٍ ت قعر دارها
مغلَّقةَ الأبواب مُرخىً حجابُها

(ولئن تحققت معاني حب الآخرة والتضحية بالدنيا كلها، وان لا يهدر عمره فيما لا يعنيه، فإن ذلك المسلم سينقاد للأوامر الالهية انقياد الضيف للمضيف ليفتح باب القبر بأمان،... ويدخل دار السعادة بسلام)[٩٤]، لإن الشيخوخة لا تعني بنظر المخلص في دعوته الضجر منها،... إذ هي علاقة انتهاء واجب الحياة ووظائفها، وإشارة ارتحال إلى عالم الرحمة للخلود إلى الراحة، فلا بد من الرضا بها أشدّ الرضا).[٩٥]

---

٩١ المكتوبات/٣٦٤.
٩٢ المكتوبات ٨٩.
٩٣ المكتوبات/٣٦٠
٩٤ المكتوبات/٨٩.
٩٥ نظر اللمعات/٣٤٧.

كذلك (فإن الموت ليس فراقاً بل هو وصال وتبديل مكان واثمار لثمرة باقية)[٩٦].

ورحم الله الشاعر المسلم الرمزي ، إذ يقول: في الموت:

أنـــــا عصـــــفور، وهـــــذا قفصـــــي
طـــــرتُ عنـــــه، وبقـــــي مرتهنـــــا
أنـــــا في الصـــــور وهـــــذا جســـــدي
كـــــان ثـــــوبي وقميصـــــي زمنـــــا
وأنـــــا اليـــــوم أنـــــاجي مـــــلأً
وأرى الله جهـــــــــــاراً عَلَنـــــــــــا
لا تظننـــــوا المـــــوت موتـــــاً إنـــــه
لـــــيس إلا نقلـــــةً مـــــن هاهنـــــا!

سعيد الجديد – تأريخ حياته الجديدة

• **حلمه في التحوّل**: بدأ حلمه في العشرين من عمره متطلعاً إلى مستقبل جديد: (سأنزوي في أخريات حياتي في مغارة، مبتعداً عن الحياة الاجتماعية – يقصد السياسة – كما كان ينزوي الزهاد في الجبال)[٩٧].

ثم داعبته هذه الأخيلة بجدّ حين كان في الأسر في الحرب العالمية الاولى في مدينة (فوصترما) ش ق. روسيا، قرب سيبريا، على نهر الفولغا، حين سكناه في مسجد صغير قديم للتتار، مع اقامة جبرية فيه، ثم سمح له أن ينام فيه، ويسكن ويؤمّ المصلين، ويعظهم، وفيهم تسعون ضابطا، وكان يستمع إلى خطبته ووعظه الضابط الروسي، وكان عمره قريب الأربعين، غير أنه وجد نفسه بسبب الحرب والاسر والسجن كأنه في الثمانين!

انه يحدث عن نفسه فيقول: (ان الأسر والسجن والاقامة الجبرية فيه ألهمني أن سأقضي بقية عمري في الكهوف والمغارات معتزلاً الناس. كفاني تدخلاً في أمورهم، ولما كانت نهاية المطاف دخول القبر منفرداً وحيدا، فعليّ أن أختار الانفراد والعزلة من الآن، لأعودّ نفسي عليها)!

غير أن الرحمة الالهية حوّلت احلامي في العزلة في مغاير وكهوف إلى محاكمات ل(٢٥٠٠) دعوة، انتهت جميعها بالبراءة، وسجون ومعتقلات ونفي وتشريد منذ عمر الخمسين إلى وفاته عن عمر ٨٧ سنة[٩٨] ، كذلك فان حياته صارت عزلة، ولكنها في البناء والايجابية في الحياة.

هكذا بدأ سعيد القديم يتحول، بسبب المآسي التي انتهى اليها، وبسبب الافلاس من أية ثمرة لم يجنها من مآسيه ومصائبه، وبسبب سأمه من الحياة الحضارية في استنبول بل نفور قلبه من الحياة البهيجة المادية فيها، وسامه من الغربة ثم تأجل قرار التحول، بسبب اقامته في استنبول ثلاث سنين، وما فيها من حياة بهجة.

ولكن الحلم رواده مرة ثانية، بالحاج وضراوة، أن يغيِّر من خط سيره حين تأملاته على (تل يشوع) المطلّ على البسفور، فحنّ إلى الاخرة والاعتزال، كما حنّ إلى وطنه، بعد أن سئم حياة المجون والترف التى

---

٩٦ اللمعات/٣٩١

٩٧ اللمعات/٤٠٧.

٩٨ اللمعات/٤٠٧، انظر بديع الزمان النورسي – فكرة ودعوته/ ٣٤ – والصواب أن المصائب لسعيد القديم بدأت وعمره (١٥) سنة، امتدت (٣٠) سنة، وان مصائب سعيد الجديد بدأت بعمر (٤٥) سنة، وامتدت (٤٠) سنة، أي أن حياته العسرة بعهديه امتدت أكثر من (٧٠) سنة، ما عدا بضع سنين متفرّقة خلالها تنفّس الصعداء!

تحياها استنبول، فقرّر تغيير خط جهاده إلى ماهو أجدى للمسلمين، واوفى لله، وأسعد لمستقبل أيامه في دنياه وأخراه، لاسيما بعد قراءته لكتب الشيخ عبد القادر الكيلاني والسرهندي الربانيَّين.

واقع التحوّل الجديد:

لقد لاقى من الأهوال في عهده الجديد، ما يشيب لهوله الولدان، وما يئن له الثقلان، في أربعين سنة، قضى أكثر من ثلاثين سنة منها مابين نفي وتشريد وسجن، ولكنها على ثقلها كانت أشهى إلى روحه من نعيم الدنيا برمتّها ومن الماء الكوثر بسبب إخلاصه لربه، واستقامته في دعوته اليه، وبسبب الثمار التي قطفها داخل تركيا، وخارجها في العالم الإسلامي، فكانت المحن منحا، والعذاب برداً وسلاما بل كان يراها تنبيها من الله عزّ وجل له على معاصيه وذنوبه! هكذا كان يثق بالله، إذ المحن تمحيص واختبار، وتكفير للذنوب! هكذا يدركها بقلبه امامنا الصالح ﷺ، وهو كالشافعي، حين رأى كعب امرأة عند صائغ بغفلة منه، فشرد ذهنه بعض الوقت عن مجال العلم، فشكا امره إلى استاذه وكيع، وكان أشدّ ورعاً منه:

شـــــكوت إلى وكيـــــع ســـــوء حفظـــــي
فأرشـــــــدنى إلى تـــــــرك المعاصـــــــى
وأخـــــــبرني بـــــــأن العلـــــــم نـــــــورٌ
ونـــــــورُ الله لا يُهـــــــدَى لعاصـــــــي!

فكان شرود ذهنه لفترة محدودة خسارة، ظنها عقاباً من الله له على نظرته العابرة!! أيَّ فقه ورعٍ هذا؟!

ومثله كمثل ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن، حين كانت النار التى القاه فيها أعداؤه برداً وسلاماً برحمة الله: (**ان الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا، تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم، ولكم فيها ما تدّعون، نزلاً من غفور رحيم. ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله، وعمل صالحاً، وقال: أنني من المسلمين؟!**)[٩٩].

وبشارة الملائكة عن الله للمخلص، بالجنة، انما تحيل الدنيا إلى جنة، وصدق الامام الصالح ابن تيمية ﷺ إذ يقول: (من لم يذق جنة الدنيا، لم يذق جنة الآخرة)! ومن كان الله وليّه وناصره وحبيبه في الدنيا والآخرة، وقلبه يفيض ثقةً بهذا الوعد الالهي، كيف لا يكون أسعد الناس؟!

لمـــــا علمـــــتُ بـــــأن قلـــــبي فـــــارغٌ
ممـــــــن ســـــــواك، ملأتُـــــــه بهُـــــــدَاكا
ومـــــلأت كلِّـــــى منـــــك، حـــــتى لم أدع
مـــــنى مكانـــــاً خاليـــــاً لســـــواكا[١٠٠]

وصوله إلى بلده:

شدّ الرحال عام ٩٢٣ إلى بلده (وان) في أقصى شرقي البلاد، وعمره (٤٧ سنة)، فوجدها بعد رحلة الف وثلاثمئة كيلو متر أطلالاً، وأثراً بعد عين —كما يقول المثل العامّي (الدار قفرة، والمزار بعيد)، بسبب

---

٩٩ سورة فصلت/ الآية ٣٠.
١٠٠ الامام الشافعي ﷺ.

استباحة الأرمن (من أرمينيا لها)، والتي تبعد عن حدودها الحالية اليوم حوالي ٣٠٠ كم شرقا. وكان أكثر اخوانه في الدين والجهاد قد ماتوا ابان الحرب،... فأنشد:

لـــولا مفارقـــة الاحبـــاب، مـــا وجَـــدَت
لهـــا المنايـــا إلى أرواحنـــا ســـبلا[١٠١]

ثم انه حين وصوله اعتزل الناس في جبل (أرَك)، اعتزالاً سياسياً مدة سنتين، للتأمل في الطريق الجديد الذي سيقتحمه من خلال الدعوة الفاعلة إلى كتاب الله عز وجل.

ولكنه ما لبث في أول دعوته مع اخوانه، الاّ وعيون العلمانيين الحكام تلاحقه، فنفي إلى (بوردو) في ج.غ الانضول في شتاء ٩٢٦.

ثم نفي وحده إلى (بارلا) عام ٩٢٦، وعمره خمسون سنة، وهي قرية نائية في ج.غ الانضول، ولاقي في هذا النفي الاهوال: (وأنتم قد أجبرتموني على الاقامة ظلما في قرية خمس سنوات، إذ منعتموني من المراسلات ومن الاختلاط مع الناس، وجُرِّدتموني من كل شيء، واسقطتموني من الحقوق المدنية، كاني لست من أفراد هذا الوطن؟! لقد أقفلتم عليّ باب الدنيا، وأنا بدوري طرقت باب الآخرة)[١٠٢].

لقد أقفلوا عليه باب الدنيا بغياهب السجون، ولو قدروا أن يمنعوا عنه الهواء، بعد أن منعوا عنه الاتصال بالناس لفعلوا!

طـــوى دونـــا الأخبـــارَ ســـجنٌ ممنَّـــعٌ
لـــه حـــارسٌ تهـــدا العيـــون ولا يهـــدا[١٠٣]
قُبِرنـــــا، ولم نُـــــدفَن فـــــنحن بمعـــــزلٍ
مـــن النـــاس، لا نُخشَـــى فنُغشَـــى..ولا نَغْشَـــى[١٠٤]

لقد كان يساق من منفي لآخر، ويزج في جحيم السجون والمعتقلات في عديد من ولايات تركيا طوال ربع قرن!، وهو يردد بقلبه قبل لسانه أبداً: (حسبي الله ونعم الوكيل). فانقلب بنعمة الله إلى انفتاح القلوب له، وصارت تلك القرية منار النور، وكان منها الاشعاع إلى سائر مدن وقرى تركيا، كانت تنشر بكتابة اليد سرّاً، ثم باستنساخها بالرونيو بعد ذلك. عن ابن عباس ﷺ، قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، قالها إبراهيم عليه السلام، حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ، حين قالوا: (ان الناس قد جمعوا لكم، فاخشوهم، فزادهم ايمانا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل)[١٠٥]

وتوكل على قيوم السموات والارض مجدداً العهد على الصمود في دعوته:

سأمضـــــى،...عنيـــــدا، فـــــلا انثـــــني
واحيـــــا كريمـــــاً، فـــــلا أنحـــــنى
وأرفـــــع نحـــــو الســـــماء جبهـــــتى
كمـــــا ارتفعـــــت جبهـــــة المـــــؤمن
أمـــــوت خميصـــــا! ولا أقبـــــل الفتـــــا
تَ مـــــن القاتـــــل المحســـــن
أأطعَـــــمُ مـــــن قاتـــــل أمـــــتى

١٠١ انظر اللمعات/٣٦١ المتنبي – واللها جمع لهاة.
١٠٢ المكتوبات/٨٧.
١٠٣ صالح عبد القدوس.
١٠٤ صالح عبد القدوس.
١٠٥ رواه البخاري.

أرى الـــــــدم في كفـــــــه المنـــــــتن؟![106]

ثم نفي إلى (أسكي شهر) ج.ق. استنبول على بعد ٢٠٠ كم منها، حيث اقام في سجنها سنة وعمره ٥٩ سنة، الثلاثة الاشهر الاولى في مركز الشرطة، منعزلاً مهانا، مريضا.

ثم نفي إلى مدينة (قسطموني) ق. استنبول على بعد ٣٠٠ كم منها تحت الاقامة الجبرية منذ عام ٩٣٦ – ٩٤٣ (سبع سنين)، وعمره ستون، ومكث موقوفاً في مركز الشرطة ثلاثة اشهر، منفرداً، حتى أكره على لبس القبعة والزي الاوروبي! وأثاروا عليه العلماء المغرورين، والمشايخ الصوفية[107].

غير أن العناية الالهية أحاطت به، فصادقه الحرس، وبدأ بكتابه رسائل النور.

وساقوه إلى محافظة اسبارطة تسع سنين في الاسر[108]، وهو مريض جداً، ووجدوا رسائل النور مخبوءة تحت اكوام الحطب، غير ان الرحمة الالهية أسعفته، بأن آمنوا بها، ونالت هذه المحافظة من رسائل النور كثيراً من البركات.

سجن دينزلي:

ثم انتهى به المطاف عام ٩٤٣ وهو بعمر (٦٧) سنة إلى محكمة الجزاء الكبرى في (دينزلي) على بعد ٦٠٠ كم ج.غ قسطوني في غرب تركيا، وما أتعس ما قاساه في سجنها وما أعزّ ما قدّم إمامنا في محنته لخير وطنه! انه قلبه المؤمن الدامي:

بحثـــت عـــن هبـــةٍ أحبـــوكَ يـــا وطـــني

فلـــم أجـــدْ لـــك إلا قلـــبي الـــدامي

وهو يحدّث عن نفسه: (زجوني في ردهه كبيرة ذات عفونة ورطوبة شديدتين، وبرودة قاسية، غير أن العناية الربانية حوّلت هذا السجن الرهيب إلى مدرسة نورية والى مدرسة يوسفية، فانتشرت رسائل النور بغزارة... مما حدا بوزير التربية أن يشن حرباً شرسة علنيا، مما حدا بالبعض أن يطالب باعدامنا، وسعوا بذلك. غير أن العناية الالهية تولتنا بتقارير لينة رقيقة من رئيس الوزراء الينا، وكأنهم يريدون المصالحة معنا، بعد اكتشافهم ان رسائل النور قد غلبتهم وانتصرت عليهم، إذ أخذوا يستشدون بها[110]. وكانت تظهر هذه الرسائل بالمئات، مكتوبة بأقلام الصالحين نسخاً باليد![111] ثم كانت بالآلاف بآلة الرونيو. ثم دسّ الاعداء المتسترون السُّمَّ في طعامي، ونقل بطل النور الشهيد (حافظ علي) على اثرها إلى المستشفى، بدلاً عني، وارتحل إلى عالم البرزخ، عوضاً عني... وأصابني أثر السم الاّ أن الرحمة الالهية تداركتني فشفيت بعد علاج صحي،... بل بعد الدعاء الخالص من اخوتي الطيبين[112].

ومع كل هذه المصائب التي انتهى اليها، لم يتضعضع ايمانه بربه، بل ازداد ثباتاً وتحدياً، وهو يقارب السبعين، وشعاره الذي ينبض معناه في عروقه نفخات الشاعر المجاهد العراقي وليد الاعظمي، في تحدِّيه لسجانيه حين مرّ بسجنه ما مرّ به إمامنا ﷺ وغفر له.

وصـــــدعتُ بـــــالحق المبـــــين صـــــراحةً

---

١٠٦ عالم اليمن وشاعرها الامام الشهيد محمد محمود الزبيري.
١٠٧ اللمعات/٤٠٣.
١٠٨ ولعلها المحافظة التي فيها (مدينتا اسكي شهر وقسطموني).
١٠٩ الامام الشهيد محمد الزبيري – عالم اليمن وشاعرها.
١١٠ اللمعات/٤٠٤،٤٠٣.
١١١ انظر اللمعات/٣٩٤.
١١٢ اللمعات/٤٠٤.

حـــــتى ولـــــو أفضـــــى إلى إعـــــدامى
وصـــــرختُ في وجـــــه الطغـــــاة مغاضـــــباً
كفـــــوا عـــــن التعـــــذيب والايـــــلام
والله لـــــــو قطّعـــــــتمُ لحمـــــــى اذىً
وطحنـــــتُمُ قبـــــل الممـــــات عظـــــامى
مـــا زُعـــتُ عـــن هـــدى النـــبيّ محمـــدٍ
كـــــــلاّ، ولا نافقـــــــتُ للحكـــــــام
آمنـــــتُ بـــــالقرآن جـــــامع شملنـــــا
وكفـــــــرتُ بالزعمـــــــاء والاصـــــــنام!

وكان سجن دنيزلي، اشراقة نور على السجناء معي، والسجانين والمدينة باسرها بل كثير من مدن الانضول، حتى ان اكثر من مئتين من المسجونين معي تابوا واستقاموا، خلال ثلاثة اشهر، حتى ان قاتلاً لاكثر من ثلاثة كان يتحاشى أن يقتل فراشة!

وكان سلوانه في العذاب ما تحمله الامام أبو حنيفة النعمان، والامام أحمد بن حنبل وغيرهم من كبار الصالحين في سبيل القرآن الكريم.[١١٣]

ولقد بلغ بامامنا الجرأة والتحدّي ومحض الإخلاص مدى، ندر من يرقى إليه من الدعاة في عمره المسن: خمس وسبعين سنة، أكثرها لعدة عقود سجن وتشريد ونفي وتوقيف وجهاد ومطاردة من قبل اعدائه وأعداء الإسلام. لقد عزله أعداؤه عن الناس أجمعين، إلاّ أحاداً من الخلّص الأمناء، ومنهم تلاميذه في السجون، ومنهم زواره، ومنهم الهداة برسائله، فهو مع افكارهم وقلوبهم وأرواحهم، بعيداً عن اعدائه، فحقق وصية الفاروق من حيث يعلم أولا يعلم: (إعتزل عدوك، واحذر صديقك الآ الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله).

اصغ معي في مرافعته الهائلة اما محكمة دنيزلي أمام القضاة – يسخر منهم ومن الموت! (ان الزنا دقة والمنافقين غروراً بكم، وصفعوا العدل والحق، وانحرفوا بالدولة عن وظيفتها الأساسية، إلى مشاغل لا فائدة منها، واتخذوا من الاستبداد جمهورية ومن الردة نظاما، ومن الجهل والسفه مذنبة، ومن الظلم قانونا، وبذلك خانوا وطنهم، وضربوه ضربة ما كان لأجنبي أن يضرب مثلها)[١١٤].

وقال في أحد دفوعه في أخريات أيامه، أمام القضاه: (الا فلتعلموا جيداً: أنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر، وفُصل كلَّ يوم منها واحد عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة[١١٥].

أي إخلاص هذا مع ربّ الكون أن يتحمل الامام المصائب المتلاحقة التي لم تفتأ تصاحبه، حتى في شيخوخته، وأي تحدٍ للاعدامات المفترضة أن يتصدّى لها، ولو كانت بقدر شعور رأسه!! لولا الإخلاص لانهار سعيد وهو في باكورة الشباب!! لقد ترجم إسلامه بهذه العزة والتحدي:

لـــيس في الـــدين أن نقـــيم علـــى الضـــيم
ونُحِـــــــنى جباهنـــــــا للدنيـــــــة

---

١١٣ اللمعات/٤٠٥.
١١٤ بديع الزمان النورسي – فكرته ودعوته/ ١٤٩ عن سيرة أمام مجدد/٥٧، والشعاعات ص ١٨، ود. محسن عبد الحميد/٣١.
١١٥ بديع الزمان والنورسي – فكرته ودعوته/١٤٩ عن الشعاعات/٢٩٤.

ليس في الدين أن نؤله طغيانا
ونعنو للسلطة البربرية
ليس في الدين أن نقدّس جلاّدا
ويمنحاه من دمانا رويّة
لعن الله كل ظلم وجَوْر
لعنةً في كتابه سرمدية
فليمت من يضفي على الظالم الطاغي
رداء الجلال والقدسية
وعبيد الأحجار أشرف ممن
يجعل السيف ربّه ونبيّه
ليس في الدين أن نكون بلا رأي
ولا عزة، ولا حرّية
ملء أعرافنا: ابائٌ ومجدٌ
وطموحٌ إلى العُلى، وحميّة[١١٦]

لقد تجاوبت شخصية امامنا مع امام اليمن الشهيد محمد الزبيري رحمه الله. إصغ إليه في شعره، وقارنه بأقوال امامنا ﷺ:

فنأبى الحياة، إذا دُنِّست
بعسف الطغاة، وإرهابها
ونحتقر الحادثات الكبار
اذا اعترضتنا بألقابها
ستعلم أمتنا أننا
ركبنا الخطوب، حنانا بها
فان نحن فزنا فيا طالما
تذل الصعاب لطلابها
فان نلقَ حتفا، فيا حبذا
المنايا تجيء لخُطّابها!

ثم ان امامنا الصالح رضي الله عنه يقارن بين معاملة المنافقين من المسلمين، والكفار الروس، وبينهما بعد المشرقين. فكان يمتدحهم، إذ لم يمنعوه أن يلقي محاضراته الإسلامية على المسجونين معه، وأذنوا له أن يؤمّ جماعة المصلين، من غير مضايقات، كما سمحوا له بالاختلاط والاتصال والمراسلات، وأن يبيت في المسجد،

على نقيض اخوانه في الدين والوطن، حين كان في (بارلا) ست سنين، إذ منعوه من الامامة لثلاثة من اخوانه في الآخرة، كما منعوه من الاختلاط بأحد أو استقباله. وكذا في جميع السجون والمعتقلات والمنافي لمدة عشرات السنين،...

فكان المنافق أشدّ من الكافر وأخبث، لذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار لأنهم أحقر من الكافرين وأخبث وأشد خطراً، إذهم على صلة مباشرة بالمسلمين، داخل قلعتهم، في حين أن الكافرين

١١٦ الامام الشهيد محمد الزبيري – عالم اليمن وشاعرها.

من خارج اسوارها، وجميعهم وقود النار: (**ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً**)[١١٧]، ثم انه رحمه الله كان يؤول محنته في السجون بانها عقاب من الله ضده، إتهاماً لنفسه بالتقصير في دعوته، وثقة بالله عزوجل وإخلاصاً له.

وماذا يقدر أن يعمل ازاء ابناء وطنه السجانين، المنافقين العملاء!! وهم بالملايين في عالمنا العربي والإسلامي اليوم! ليس له الا دعوتهم بقدر ما يقدر، ثم التضرّع إلى الله أن ينجيه منهم أو يصلحهم:

الى الله أشكو أننا بمنازل
تحكّم في آسادهن كلابُ!![١١٨]

ومن حقنا أن ننشد ما أنشده أحدهم:

عوى الذئب، فاستأنست بالذئب إذ
عوى، وصوّت انسانٌ فكدْت أطيرُ

ونستشهد بشعر الآخر:

وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضاً عيانا![١١٩]

ثم نفي الى (أمير داغ) في وسط الانضول منذ ١٩٤٤-١٩٥١ سبع سنين، وعمره ٧٥ سنة، واسكن في غرفة تحت اقامة جبرية، وحيداً فريداً من غير سجن ولكن الرقابة الدقيقة لحركاته وسكناته كانت تمنّيه ان يُرجَع به الى سجن دنيزلي او دخول القبر، خيراً من هذه الحياة، غير ان الرحمة الالهية أحاطت به من جديد، بحصول تلاميذه على آلة الرونيو التي ظهرت حديثاً، مما سرّع في نشر أعداد الرسائل بمئات الالوف دفعة واحدة، ثم انتشرت بين المسؤولين اضافة إلى المؤمنين وغيرهم من الشعب وفي خارج تركيا، ولم يجدوا فيها مجالاً للنقد، بل أقروها، وأفاد منها الكثيرون، وجمعت تحت عنوان (الكلمات والمكتوبات، واللمعات، والشعاعات)، وغيرها، ولم تتيسر طباعتها الا بعد ١٩٥٤، وكان رحمه الله يشرف بنفسه على طباعتها.[١٢٠]

وانتشر توزيعها اتساعاً، مما حمل المشاغبين أن يؤلبوا الشيوعيين وكثيراً من المسؤولين علينا، فتوقف نشاط طلاب النور، بما حصل عليهم من تضييق وتشديد بحملات عنف ضدهم.

ومن اشاعاتهم المغرضة ضدي:

أن أشاعوا أن خادم (سعيد) اشترى له الخمر من حانوت، ولم يوقع التقرير الا شخص غريب سكير، وتحت الضغط والتهديد، فكذّبوه.

وحين اعتلال صحته أعاره شخص عربة ذات حصان، لنزهة ساعة أو ساعتين بها، بأجرة ٥٠ ليرة من كتبه، فتدخل الأمن والشرطة ودائرة العدل، والمحافظ نفسه استفسر عن الأمر باكثر من خمسين مرة. لمن هذا الحصان، ولمن العربة؟ مما اضطر أحدهم ان يدعي ملكية الحصان، والآخر ملكية العربة، فألقي القبض عليهما، وأودعا في السجن معي، فبكينا ضاحين[١٢١]. ولقد بلغ من تقصّد إهانتي، في المحكمة، وأنا شيخ هرم بعمر الخامسة والسبعين ومريض وضعيف جالس على كرسي خارج باب المحكمة. أن أتاني الحاكم فجأة، وقال مغضبا مع اهانة وتحقير: لِمَ لا ينتظر هذا واقفا؟!

---

١١٧ سورة النساء/ الآية ١٤٠.
١١٨ أبو فراس الحمداني.
١١٩ الامام الشافعي.
١٢٠ انظر بديع الزمان النورسي – فكرته ودعوته/٢٣،٢٤.
١٢١ اللمعات/٣٩٤ – ٣٩٩.

وحين المحاكمة احتشد الف من الناس في الساعة المقابلة للمحكمة إشفاقاً علينا، وعجزت الشرطة عن صدهم!

يـــا ظالمـــاً فَرِحـــاً بـــالعزِّ ســـاعدُه
ان كنـــتّ في سِـــنَةٍ، فالـــدهر يقظـــان[١٢٢]

وكان يتنقل بين سجون المدن، ومنها سجن أفيون عام ١٩٤٨ [١٢٣]

أما محاكماته في حياته فبلغت (٢٥٠٠) محاكمة، جميعها باءت بالتبرئة، ولكنها أثقلت كاهله، ورحم الله الشهيد البنا ﷺ إذ يقول: (أثقل شيء على المؤمن الاتهام بالباطل).

وكأنّ لسان حاله يقول ما قاله الشاعر المجاهد عمر بهاء الاميري:

اعتصـــر مـــا شـــئت قلـــبي يـــا ألم
وتحكّـــم بى، فلـــن أفـــتح فـــم
حَكَـــمَ المقـــدور أن يـــرهقني
بـــالعُلَى صـــبراً وطوعـــاً يـــا حَكَـــم
وقضـــى جعلـــنَ في مجتمـــع
مـــائح مـــا بـــين ظلـــم وظَلَـــم
كيـــف أشـــكو بـــثّ قلـــبي للـــورى؟!
إو يـــدري مـــا الاســـى قلـــب اصـــمّ؟
حســـب قلـــبى أنـــه بيـــت العُـــلا
حســـب ثغـــري بســـمةُ الجلْـــد الأشـــمْ

توفي رحمه الله في ٢٥ رمضان/١٣٧٩هـ – ٢٣ إذار/ ١٩٦٠م في (أورفة) عن عمر ٨٤، وبعض المصادر تشير إلى ٨٧ سنة، وكأنّ لسان حاله يخاطب روحه الشرود بعد ضمّه في القبر:

أيهـــا الـــروح، كيـــف أطفـــي غليلـــك
جِـــرتُ والله، مـــا الـــذي اصـــطفى لـــك؟!
يـــا جموحـــاً تنكّـــب الأرض يســـعى
في الســـموات، لا ضـــللتَ ســـبيلك
وطموحـــاً منـــاه هـــدّ كيـــاني
أتـــرانى محـــاولاً تـــذليلك؟!
لســـتُ أخشـــى عليـــك تخليـــف كـــونٍ
قـــد تعجلـــتُ مـــن دنـــاه رحيلـــك!
غـــيرَ أني مســـائلٌ حـــين تمضـــي:
مَـــن لأهـــل الآلام يبقـــى بـــديلك؟!

ولم يُشف غليل العلمانيين القوميين (الطورانيين) العملاء هذا الانتقام الرهيب منه في حياته، ولم يَدَعوه يرتاح حتى في قبره، إذ قاموا بنقل رفات هذا العالم الجليل بالطائرة إلى جهة مجهولة، بعد أن أعلنوا منع التجوّل في مدينة (أورفة)، وملؤوها بالجنود والسلاح.

---

١٢٢ البستي.
١٢٣ اللمعات/٣٩٥.

لقد غادر الحياة وأهل الصلاح يضجون بالدعاء له، وينضحون الدموع دماً عليه، وملائكة السماء تستقبله، وربّ العزة والجلال يستضيفه، إذ هو ضيف الرحمن ما دامت السماوات والأرض! **(وعد الله، لا يخلف الله وعده)!**[١٢٤]

ولئن غادر الدنيا إلى الآخرة، بهذا الخوف والرعب لأعدائه منه، حتى لم يبقوا لقبره ولا لرفاته أثراً لزيارته أو التسليم عليه، فان موته أشدّ رعباً لاعدائه العلمانيين من حياته، كما تنبّأ بعمق بصيرته:

(واني آمل من رحمة الله سبحانه أن موتي سيخدم الدين أكثر من حياتي، وان رفاتي سينغلق على رؤوسكم انفلاق القنبلة، وسنشتت رؤوسكم وتبعثرها!

انها النقمة الايمانية على النفاق وأهله:

قِـــف دون رأيـــك في الحيـــاة مناضـــلاً
ان الحيـــــاة عقيـــــدةٌ وجهـــــادُ[١٢٥]

بل ان يستعذب الموت، ولا ييأس من الفوز حتى بعد مماته:

يســـــتعذبون منايـــــاهم كـــــانهمُ
لا ييأســـون مـــن الـــدنيا إذا قُتِلـــوا[١٢٦]

وهكذا حدث، والان بعد أربعين سنه من رحيله الى جوار ربه، نجد جماعته (جماعة النور) ملء السمع والبصر – بحفظ الله ورعايته ونصره، داخل تركيا وخارجها. وهذا من كراماته. حفظهم الله من أي سوء، وعصمهم من الانحراف عن نهج القرآن واجتهاده السليم في دعوته. اللهم آمين.

ولئن تألمنا من حياته المعذبة بجسده ونفسه، وفرحنا بسعادة روحه الشرود العليائها، فلندعُ لإمامنا الصالح والدعاة الذين ينهجون نهجه، ولنعزّيهم بمصاب المصطفى في جهاده الموصول:

واذا أتتـــــك مصـــــيبةٌ تشـــــجى بهـــــا
فـــــاذكر مصـــــابك بالرســـــول محمـــــد[١٢٧]

(فلعلك باخع نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين).[١٢٨]

الفصل الثالث
ما أفاض الله على إمامنا من ثمار الإخلاص

توطئة:

لقد افاض الله تعالى على إمامنا الصالح من ثمار إخلاصه، السعادة التي أحالت جحيم العذاب إلى ماء سلسبيل، بل إلى جنة الدنيا، يتذوق فيها إشراقة جنة الخلد، قبل أن يراها. إنه يعيش للآخرة. بناؤه

---

١٢٤ سورة الروم–الآية ٦
١٢٥ احمد شوقي.
١٢٦ أبو تمام.
١٢٧ مروان حديد.
١٢٨ سورة الشعراء – الآية ٣.

للدنيا من خلال معاني آخرته، هو البناء الصلب الذي جمع إليه إخوان الآخرة كما كان يناديهم، وكان أهل الدنيا من المسؤولين الطغاة الطورانيين العلمانيين، لا وزن لهم عنده، ولا ضياع من وقت معهم في السياسة الخداعة، إذ لا فائدة في الدعوة لقساة القلوب: (**إن الله لا يهدي كيد الخائنين**)[١٢٩]، (**كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار**)[١٣٠]، (**ويهدي إليه من أناب**)[١٣١]، ولا جلوس معهم إلا للتذكير: (**وإما ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**)[١٣٢]، ولا طاعة لهم: (**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، واتّبع هواه، وكان أمره فُرُطا**)[١٣٣].

لقد عاش لإخوانه، من خلال الإخلاص، وكان هو وهم في عمل دوؤب، يصدق فيهم قول عبد الله بن الزبير ﷺ: (إنّ لأهل التقوى علامات يُعرَفون بها، ويعرفونها من أنفسهم: من صبر على البلاء، ورضا بالقضاء، وشكر للنعماء، وذلٌّ لحُكْم القران)[١٣٤]، وهكذا كانوا. ولم يزالوا على العهد إن شاء الله. وليس له من حطام الدنيا شيء، لا أهل ولا ولد ولا مال، و.... فترك كل ما في الدنيا لله عز وجل، فأكرمه الله بان فتح على يديه قلوب إخوانه، وهم بالملايين اليوم، فصدق فيه قول الصحابي الجليل أبَيّ بن كعب ﷺ: (اتخذْ كتاب الله إماما، وارضَ به قاضيا وحَكَما)[١٣٥]، وقوله: (ما من عبد ترك شيئا لله عز وجل إلا أبدله الله به ما هو خير منه، من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد فأخذه من حيث لا يصلح إلا آتاه الله، ما هو اشد عليه منه، من حيث لا يحتسب)[١٣٦].

لقد صاغت عقيدته وإخلاصه شخصية نادرة، لا يأس فيها ولا تردد في الحق، لا يخاف من البشر في وعيدهم وتهديدهم، بل لا يخاف من الأجَلَ، لان الذي يبني أخراه في الدنيا يفرح بترك الخراب إلى العمران والى الرحمن، فهو زاهد في الدنيا، بل هو مُعدَم، إذ يرنو ببصيرته إلى رحمة ربه، فتهون الدنيا كلها بقلبه: (**وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون**)[١٣٧]. وإنما الذي بنى شخصيته المتميزة تطلعه إلى حبّ الله ورسوله، والفناء في طاعتهما، وليس له في الوجود إلا هُما:

ومما زادنى شرفا وتيهاً
وكدتُ بأَخمَصي أطأ الثريا:

دخولى تحت قولك: يا عبادي
وان هيأتَ احمدَ لى نبيا[١٣٨]

وكأني بالصحابي الجليل، سلمان الفارسي يناجي إمامنا النورسي (رضي الله عنهما) بقوله: (أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث): ضحكت من مؤمّلّ الدنيا والموت يطلبه، وغافل يغفل عنه، وضاحك ملءَ فيه، لا يدري أمُسخِطٌ ربه أم مرضيه، وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمد وصحبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي رب العالمين، حين لا ادري إلى النار انصرافي أم إلى الجنة)[١٣٩].

---

١٢٩ سورة يوسف – الآية ٥٢.
١٣٠ سورة غافر – الآية ٣٥.
١٣١ سورة الرعد – الآية ٢.
١٣٢ سورة الانعام – الآية ٦٨.
١٣٣ سورة الكهف – الآية ٢٨.
١٣٤ حياة الصحابة/ ج٣ / ٥١٢-٥١٤.
١٣٥ حياة الصحابة /ج٣ / ٥١٢-٥١٤.
١٣٦ حياة الصحابة /ج٣ /٥٢١-٥١٤.
١٣٧ سورة الشورى – الآية ٣٦.
١٣٨ القاضي عياض.
١٣٩ حياة الصحابة /ج٣ /٥٠٥.

من ثمار إخلاصه.

أولا: فقه الإخلاص في فهم الدنيا والأخرى: لقد فهم بعقله معنى الدنيا والآخرة، واستوعبه، كما خشع لهذا الفهم قلبه، وسرى في نبض عروقه، واخضع سائر سلوكه من نوايا وعزائم، وإرادة وعمل، ولسان وقلم، وجهد وجهاد موصول، ووقت ومال وعلم، كما اخضع حياته وروحه لهذا الفهم! فكان إيمانا صادقا يمشي على الأرض، من خلال ما قرأتُ، ولا أزكيه على الله!

إن الدنيا لا تعيش بقلبه، بما فيها من فتنة وزينة وإغراء، إنها عدوّ في هئية صديق:

والعدوّ لا يغري، وإنما ينفّر!

ألا رُبّ وجـــــه في الـــــتراب عتيـــــقِ
ويـــــا رُبّ حُســـــن في الـــــتراب رفيـــــق
ومـــــا النـــــاس إلا هالـــــكٌ وابـــــن هالـــــك
وذو نســـــب في الهـــــالكين عريـــــق
فقـــــل لغريـــــب الـــــدار: انـــــك ضـــــاعنٌ
إلى منـــــزل نـــــائى المحـــــل ســـــحيق!
إذا امـــــتحن الـــــدنيا لبيـــــب تكشـــــفت
لـــــه عـــــن عـــــدو في ثيـــــاب صـــــديق![١٤٠]

(وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)[١٤١].

فمن اعمر الدنيا ببناء نفسه وبناء غيره، وان كان له طاقة ببناء شعبه، فذلك هو الفائز في الدارين: **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن فلنحيينّهُ حياةً طيبّة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)**[١٤٢]، **(فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، والله يحب المحسنين)**[١٤٣]، لذا فان فقه إمامنا مستقى كله من كتاب الله عزّ وجل، فنراه يقول: (انّ من عرف حقيقة الآخرة وكشف عن حقيقة الدنيا، لا يندم أبدا، إذ كان ذا لبّ، ولا يتشبثّ بالعودة إلى الدنيا مرّة أخرى)[١٤٤]. **(أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟!، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)**[١٤٥]!

وكيف يعود إليها، وهي في ذَمّ الله لها: **(إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض، فاصبح هشيما تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدرا)**[١٤٦]. فالذي لا يندم على دنيا فانية، كيف يعمل على المزيد منها؟!

زيـــــادة المـــــرء في دنيـــــاه نقصـــــان
وربحـــــه غـــــير محـــــض الخـــــير خســـــران
يـــــا عـــــامرا لخـــــراب الـــــدار مجتهـــــداً
بـــــالله هـــــل لخـــــراب العُمـــــر عُمـــــران؟![١٤٧]

---

١٤٠ ابو نواس التائب، وان ابو العتاهية يصف ابا نواس بسبب هذه الابيات بانه اشعر الناس.
١٤١ سورة آل عمران – الآية ١٨٥.
١٤٢ سورة النحل – الآية ٩٧.
١٤٣ سورة ال عمران – الآية ١٤٨.
١٤٤ المكتوبات/٨٥/٨٦.
١٤٥ سورة التوبة – الآية ٣٨.
١٤٦ سورة يونس – الآية ٢٤.
١٤٧ ابو الفتح البستي.

وهو يخاطب أهل الدنيا من المسؤولين بتحدٍّ سافر، وقناعة وثقة بما يقول: (انا لا اعجب بكم- يا مسؤولون- ولا بدنياكم)،وكيف يعجب بهم وبدنياهم، وقد طبع الله على قلوبهم؟! (**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وان الله لا يهدي القوم الكافرين. أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأولئك هم الغافلون. لا جرمَ انهم في الآخرة هم الخاسرون**)[١٤٨]. بل من حقه أن يسخر منهم، ويرثي لحالهم ويعلن مقاطعته لهم: (**وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، وغرّتهم الحياة الدنيا**...)[١٤٩]. (ولكن لا أتدخل أيضا بها، ولا أخالطكم، لأنني أصبو إلى قصد غير قصدكم، فقد ملأت قلبي أمورٌ لم تبق موضعا لغيرها، كي أفكّر فيه،...)[١٥٠].

ثم يستأنف تحديهم: (إنكم تريدون إدامة النظام، وإرساء الحكم، وحيث اني لا أتدخل بها، فليس لكم ان تقولوا: ليحبنا القلب كذلك. فأنتم لستم أهلا لذلك الحب أصلا)،[١٥١] وصدق رسول الله ﷺ، إذ يقول: (من احب في الله، وابغض في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله، فقد استكمل الإيمان)[١٥٢].

ثم يستأنف الحديث الصريح معهم: (وان تدخلتم في أمر القلب فأقول: كما إنني أتمنى مجيء الربيع وسط هذا الشتاء، ولكنني لا أستطيع إثباته، كذلك أتمنى صلاح أحوال العالم، وأدعو لذلك، وأسال الله ان يصلح أهل الدنيا،ولكنّ ذلك فوق إرادتي ووسعي! فلا أستطيع، لذا لا أتدخل فعلا، فهي ليست من وظيفتي، ولا ضمن اقتداري وطاقتي![١٥٣].

وهو يعلنها لخصومه المسؤولين، انه مغاير لقصدهم تمام المغايرة، فليَدَعوه وشأنه، إذ انه لا يتدخل بدنياهم! (إني متوجه بكل وسعي للآخرة، منقطع عن الاختلاط والمراسلات، وليس معي إلا بضعة أصدقاء![١٥٤] لان جميع حياته تقريبا سجن وحبس انفرادي وتوقيف ونفي ومحاكمات! ومراقبة دقيقة في جلوته وخلوته، وإخوانه في الإيمان بالألوف من خلال رسائله، أما من يلتقي بهم فهم آحاد! والعيون ترقبه فيهم!!، وما زادته السجون والمحن إلا زيادة في الإصرار والعناد ضد الطغاة، وانقيادا وذلا لخالقه الرحيم:

خرجنا من السجن شمّ الأنوف
كما خرج الأُسْد من غابها
نمرّ على شفرات السيوف
ونأتي المنيّة من بابها
ونأبى الحياة، إذا دُنّستْ
بعسف الطغاة، وإرهابها
انفنا الإقامة في أمةٍ
تداسُ بأقدام أربابها![١٥٥]

لذا فان (هذا الإنسان، إذا تدخّل في دنياكم العقيمة والخطرة، ينبغي له أن يكون مجنونا مضاعفا)[١٥٦].

---

١٤٨ سورة النحل - الآية ١٠٧-١٠٩.
١٤٩ سورة الانعام - الآية ٧٠
١٥٠ المكتوبات/٨٦.
١٥١ المكتوبات /٨٦.
١٥٢ اخرجه البخاري.
١٥٣ المكتوبات/٨٦.
١٥٤ المكتوبات/٨٧.
١٥٥ الإمام الشهيد/الزيبري شاعر اليمن وعالمها في منتصف هذا القرن.
١٥٦ المكتوبات/٨٩.

ومن خلال هذا الفقه الخالص نجده اسعد إنسان- مع بؤسه وعنائه الظاهري، ولكنه برضوان الله يحسّ بسعادة غامرة، دونها سعادة الملوك المخلصين! أما غيرهم فأشقياء رغم المظاهر الزائفة! انه يقول: (اسعد إنسان من لا ينسى الآخرة، لأجل الدنيا، ويفتح باب القبر بأمان)!![١٥٧].

أي إخلاص هذا، وأي قلب!!،

(من كان يريد ثواب الدنيا. فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، وكان الله سميعا بصيرا)[١٥٨]. ولعلّ الشاعر المسلم عناه في سعادته، وسعادة المؤمنين المخلصين في أمثاله:

واســـــعد مـــــن تـــــرى في الأرض طُـــــرّا
فـــــتى يغـــــدو، وثروتـــــه القلـــــوبُ
ترفـــــرف حولـــــه مـــــا دام حيّـــــا
ويـــــوم يغـــــادرُ الـــــدنيا تـــــذوبُ!

لذا فان كل ما يلقاه في حياته برد وسلام: (السجن عندي نعمة ورحمة)! ذلك ان رضوان الله اكبر من الدنيا بأسرها واعزّ، بل اعزّ من نعيم الجنة الخالد: **(ورضوان من الله آيه اكبر، ذلك هو الفوز العظيم)**[١٥٩].

فالآخرة هدفه في سلوكه وتعامله مع الناس، صالحين وطالحين بميزان هدى الله **(وان الدار الآخرة لهي الحَيَوان، ولو كانوا يعلمون)**[١٦٠]، ويستحثه المصطفى عليه السلام في حب الآخرة والعمل الدائب الموصول لها، بل تركيز الجهود لإعمارها: (من أحب دنياه اضرّ بآخرته، ومن احب آخرته اضر بدنياه، فاثروا ما يبقى على ما يفنى)[١٦١]، لذا فهو ينادي إخوانه المخلصين في دعوته يناديهم بأحب نداء: (السيد الحافظ خالد) — (يا أخا الآخرة العزيز)، فما بعد الموت عنده يجمع، لان العامل لها يتجردّ، ولا تجرد من غير إخلاص، واخوة الآخرة هم بحق اخوة الدنيا: (الإخلاء يومئذ بعضهم عدوّ لبعض إلا المتقين)[١٦٢] والمتحابون في الدنيا، على منابر من نور يوم القيامة، كما اخبر المصطفى ﷺ، لذا فان الناس بميزانه صنفان- أهل دنيا وأهل أخرى، وموقفه في كل منهما كموقف عمر الفاروق رضي الله عنه: (الناس طالبان: فطالبٌ يطلب الدنيا، فارفضوها في نحره، فانه ربما أدرك الذي يطلبه منها فهلك بما أصاب منها، وطالب يطلب الآخرة. فإذا رأيتم طالبا يطلب الآخرة فنافسوه فيها).فإمامنا لا يحب دنياه بمعانيها الفانية، ولا يحب أهلها المفتونين بها، ولا يطمع بحبة خردل من دنياهم وعطائهم وجاههم ومالهم، كما لا يطمع أولئك بالآخرة ونعيمها ورضوان الله وعطائه:

أرى أناســـــا بـــــأدنى الـــــدين قـــــد قنعـــــوا
ولا أراهـــــم رضـــــوا بـــــالعيش بالـــــدون
فاســـــتغن بالـــــدين عـــــن دنيـــــا الملـــــوك، كمـــــا
اســـــتغنى الملـــــوك بـــــدنياهم عـــــن الـــــدين![١٦٣]

لذا فان الفاروق رضي الله عنه يحذر من مجالس الملوك: (من دخل على الملوك، خرج وهو ساخط على الله)!

---

١٥٧ المكتوبات/٨٩.
١٥٨ سورة النساء - الآية ١٣٤
١٥٩ سورة التوبة - الآية ٧٢.
١٦٠ سورة العنكبوت - الآية ٤٦.
١٦١ رواه الحاكم عن ابي موسى
١٦٢ المكتوبات /٨٩.
١٦٣ إمام العلماء المحدثين عبد الله بن المبارك.

ومن كانت الآخرة غاية حياته، فلا يشغله عنها ما سواها، إذ هو منهمك في العيش برحاب القرآن العزيز، يغرف من بحر عطائه، ويهبه إخوانه، ليثبّت الإخلاص النقي من شوائب الدنيا في قلوبهم، فلا خوف في دعوته، ولا انحراف عنها إلى السياسة الخادعة، بل ان عيشه للقران وخدمته أنسته السياسة الماكرة،... (إن خدمة القران الكريم هي التي منعتني بشدة عن عالم السياسة، بل أنستني حتى التفكير فيها، وإلا فان تاريخ حياتي كلها يشهد بالخوف، لم يكبلني، ولا يمنعني عن مواصلة سيري فيما أراه حقا: **(إن الذين قال لهم الناس: ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا، وقالوا: حسبنا الله، ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم. إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه، فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين)**[١٦٤].

ثم مِمّ يكون خوفي؟ فليس لي مع الدنيا غير الأجل! إذ ليس لي أهل وأولاد أفكر فيهم، ولا أموال أفكر فيها، ولا أفكر في شرف الأصالة والحسب والنسب، ورحم الله من أعان على القضاء على السمعة الاجتماعية، التي هي الرياء والشهرة الكاذبة، فضلاً عن الحفاظ عليه،... فلم يبق إلا أجلي، وذلك بيد الخالق الجليل وحده، ومن يجرأ أن يتعرض له قبل أوانه؟![١٦٥] أيّ إخلاص ذاك؟ وأية سبيل سلك؟! إنها سبيل أولياء الله الصالحين، الثابتين المرابطين المراقبين لأنفسهم في كل حين:

ليس له أهل ولا أولاد ولا مال، ولا شيء من عرض الحياة، حرصاً منه على التفرّغ لخدمة القرآن، وحق له ولأشباهه أن يغبطه المصطفى ﷺ والصالحون على مقامه: (ان أغبط أوليائي عندي لمؤمن حفيف الحاذ – تكاليف العيش –، ذو حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه وإطاعه في السرّ، وكان غامضاً في الناس، لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر على ذلك، ثم نقر نقرات ثلاث، فقال: عجلت منيته، قلت بواكيه، قلّ تراثه)[١٦٦].

هكذا كان خفيف الحمل، خاشع القلب، حياته مع ربه إذ هو أنيسه، فقير الحال، صابراً على شظف العيش، محتسباً لربه، منكراً نفسه، لا يرنو إلاّ إلى وجه ربه الكريم: **(ما زاغ البصر وما طغى)**[١٦٧]:

تســـــترتُ مـــــن دهـــــري بظـــــلِّ جناحِـــــهِ
فعيـــــني تـــــرى دهـــــري، ولـــــيس يـــــراني

ولـــو تســـأل الأيـــام: مـــا اسمـــى؟ لمـــا دَرَتْ
وأيـــن مكـــانى؟ مـــا عـــرفن مكـــانى![١٦٨]

ان الذي يخيف الناس هو الموت، غير أنه لا يخيف الصالحين، فالأجل محتوم، لا مفرّ منه: **(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)**[١٦٩]!

فلا خوف له من الموت، لأن يومه إما أن سيموت فيه، بأجَله وإما لا أجَلَ فيه، فِلمَ الخوف؟!

أيَّ يـــــومَيّ مـــــن المـــــوت أفِـــــرّ:
يـــــومَ لا يقـــــدِرُ أو يـــــومَ قَـــــدَرْ
يـــــوم لا يقـــــدرُ لا أرهبُـــــه

---

١٦٤ سورة آل عمران – ١٧٣.
١٦٥ المكتوبات/٦٨،٦٧.
١٦٦ حديث نبوي.
١٦٧ سورة الحج/ الآية ١٧.
١٦٨ أبو نواس.
١٦٩ سورة يونس– الآية ٤٩.

ومـــــن المقـــــدور لا يُنجِـــــي الحَـــــذرْ

نعم لا ينجي الحذر من المكتوب في الأجل، فلِمَ الخوف؟!

لا ســـــــابغاتٍ، ولا جـــــــاواءَ باســـــــلةً

تقـــى المنـــون لـــدى اســـتيفاء آجـــال!

فليس لإمامنا الصالح من صلة بالدنيا إلا الأجل، وهذا هو الذي يربطه بالدنيا، وهو بيد الله الخالق الجليل وحده، فلئن غفل الناس عن هذا الواقع المحتوم الذي يوجّه السلوك، فلن يغفل عنه إمامنا رحمه الله:

النـــــــــــاس في غفلاتهـــــــــــم

ورحـــــــــى المنيّـــــــــة تطحـــــــــنُ!

كـــــــلِ حـــــــيّ عنـــــــد ميتتِـــــــه

حظّـــــه مـــــن مالـــــه الكفـــــنُ[١٧٠]!

فلا خوف من الموت عنده، وهو مطمئن إلى جوار المصطفى ﷺ، في الآخرة، والموت رحلة كل إنسان إلى آخرته: **(إنّ إلينا إيابهم، ثم إنّ علينا حسابهم)**[١٧١].

ومـــــا المـــــوتُ إلا رحلـــــةٌ غـــــيرَ أنهـــــا

مـــــن المنـــــزل الفـــــاني إلى المنـــــزل البـــــاقي[١٧٢]

ويقول أبو العتاهية كذلك:

إني لفـــــي منـــــزل، مـــــا زلـــــتُ أعمـــــره

علـــــى يقـــــين بـــــأني عنـــــه منقـــــولُ

ولـــــيس مـــــن موضـــــع يأتيـــــه ذو نَفَـــــس

إلا وللمـــــوت ســـــيف فيـــــه مســـــلولُ

لم يشـــغلَ المـــوت عنـــا مُـــذ أُعِـــدّ لنـــا

وكلُّنـــــا عنـــــه باللـــــذات مشـــــغولُ

أما من باع نفسه للرحمن، ووقف حياته على طاعته، فله البشرى من ربه الكريم: **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، بأنّ لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله، فيقَتلون ويُقتَلون، وعداً عليه الله حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله! فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم)**[١٧٣]، ولقد استبشر الصحابة حين نزول هذه الآية بهذه التجارة مع الرب الكريم، وكان ابن عباس ﷺ يقول: (أنفسٌ هو خالقها، وأموال هو رازقها، ثم يمنحنا عليها الجنة، نعمت الصفقة الرابحة، نعمت الصفقة الرابحة)، والمسلمون في هرج ومرج من الفرح، غير أنهم افتقدوا أبا بكر الصديق ﷺ، فوجدوه قد انتحى ناحية يبكي، فجاءه المصطفى ﷺ ورهط من صحابته الكرام، يسألونه عن السبب، فقال: يا رسول الله، لقد بِعنا، والله اشترى، والعقد قد أُبرِم، وقبضنا الثمن لبضاعتنا التي بعناها لربنا، فكيف بنا إذا تغيرت نفوسنا، وهي أمانة الله بين ضلوعنا، فبأي وجه نلقى الله عزّ وجل الذي بعناه نفوسنا نقية خالصة، من غير غشّ فيها؟!

إنه الإخلاص النقي الذي يزن به الصديق بيعته مع ربه، وحقّ له أن يرجح إيمانه على إيمان الأمة بتمامها، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ، ولقد نهج إمامنا نهج أبي بكر الصديق ﷺ، إذ كان دائماً

---

١٧٠ أبو العتاهية.

١٧١ سورة الغاشية – الآية ٢٦.

١٧٢ أبو العتاهية.

١٧٣ سورة التوبة– الآية ١١١.

متهماً نفسه، مع صدق البيعة، ويخشى ربه من كثرة معاصيه، وهو الذي وقف حياته كلها مع ربه، ولم يلتفت إلى ما سواه من متاع الحياة، وشعاره قول الشاعر الورع:

ولـــــــو خطـــــــرت لي في ســـــــواك إرادة

علـــى خـــاطري يومـــاً، حكمـــت بِـــرِدّتي!

ومع هذا الإخلاص، فانه يرشح الاتهام بالنفس، فإذا خلا بنفسه، يحاسبها بكى، بحسرة: (آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق)!

والمؤمن الصادق أبداً بين مخافتين، لشدة ورعه واتهامه نفسه بالتقصير: (المؤمن بين مخافتين: بين عاجل قد مضى، لا يدرى ما الله صانعٌ فيه، وبين أجل قد بقى، لا يُدرى ما الله قاضٍ فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت)[١٧٤].

من أجل كل ما مضى في فهمه لحقيقة الدنيا والآخرة، ترك العمل السياسي، واعتبره جنوناً لا عقل فيه للمخلصين العاملين: (... وهكذا فان ترك السعي لحياة أبدية، وترك العمل لنور الإيمان المقدس، والدخول في ألاعيب السياسة الخطرة، وغير الضرورية، في زمن الشيخوخة، إنما هو خلاف العقل، ومجانبة للحكمة – لشخص مثلي، لا صلة له مع أحد، ويعيش منفرداً، ومضطراً إلى التحرّي من كفارات لذنوبه السابقة، بل يعدّ ذلك جنوناً وبلاهة، بل هو جنون مضاعف[١٧٥]، بل حتى البلهاء يفقهون ذلك! فيا أهل الدنيا – يقصد المسؤولين المبتلى بهم – لِمَ لا تدَعوني وشأني)؟!

ثانياً: شخصيته المتجردة مستمدة من إخلاصه لربه وكتابه: ما شخصية المسلم؟ ... إنها مستمدة من التجرّد لقيوم السماوات والأرض: (**ففروا إلى الله، إني لكم منه نذيرٌ مبين**)[١٧٦]، إنها (تسخير طاقاته – من فكر ومواهب وعاطفه وإرادة ومال وعلم وجاه ووقت وكل عزيز عنده في حب الله، والعمل بهديه، والاستقامة عليه والدعوة له، وبذل كل طاقاته في نصرته والذود عنه، وهو في رقابة الله الدائمة عليه في كل أحواله: (أعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك)[١٧٧].

فهو في صفاء نفس واطمئنانها إلى مكانتها بين يدي خالقها، وإلى استقامة الطريق الذي تسلكه وعظمة الحق في قرآنه: (**فوربّ السماء والأرض إنه لحق، مثلما أنكم تنطقون**)[١٧٨].

واطمئنانها إلى الخير الذي يشعّ منها بين الناس، وتتضرع إلى الله بالمزيد: (**وقل: عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا**)[١٧٩].

فهو في صفاء النفس واطمئنانها الى مكانتها بين يدي خالقها، والى استقامة الطريق الذي تسلكه وعظمة الحق في قرآنه: (**فورب السماء والأرض، انه لحق مثلما أنكم تنطقون**)[١٨٠].

واطمئنانها إلى كون الله معها، لا يفارقها العمر كله: (أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه)[١٨١]، فالمسلم في معين لا ينضب من القوة الدفاقة بنصر الله له: (**فاعتصموا بالله، هو مولاكم،**

---

١٧٤ رواه البيهقي، وفيه انقطاع.
١٧٥ المكتوبات/ ٨٧.
١٧٦ سورة الذاريات/الآية ٥٠.
١٧٧ رواه أبو نعيم.
١٧٨ سورة الذاريات– الآية ٢٣.
١٧٩ سورة الكهف– الآية ٢٤.
١٨٠ سورة الذاريات/ الآية ٢٣.
١٨١ حديث صحيح، وفي الحديث المتفق عليه: (وانا معه إذا ذكرني،..)

فنعم المولى ونعم النصير)[١٨٢]، فهو ذو ا إرادة وتصميم، لا يلين، وعزة لا تهون، وصدق وشجاعة لا تهاب، وأمل يطوي الدنيا والآخرة، يضيء بنور الله، وشخصية تتحلّى بالأدب الجم والإخلاص والوفاء والتضحية والإيثار، وإنكار الذات،...

إنها شخصية صاغها الله بنظامه المعجز **(صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، ونحن له عابدون)**[١٨٣] ، **(صنعَ الله الذي أتقن كل شيء)**[١٨٤]:

١. **صدقه في دعوته:** ما أوجز تعبيره وأدقه! وأوسع معناه وأشمله، حين قال: (إن حبة واحدة من صدق، تُبيدُ بيدراً من الأكاذيب، وان حقيقة واحدة تهدم صرحاً من خيال!)[١٨٥].

وما احكم الدعوة بصدق! انه طبّ النفوس: (لو وُضِع الصدقُ على جرح لَبَرأ)[١٨٦]. ويوصي الفاروق ﷺ: (عليك بالصدق وان قتلك)!

وان الدعوة إلى الله عز وجل بإخلاص وصدق هي المنجية لحساب الله يوم العرض عليه: **(قل: إني لن يجيرني من الله أحد، ولن أجدَ من دونه ملتحدا، إلا بلاغاً من الله ورسالاته)**[١٨٧].

لقد صدق الله فصدقه فيما فتح عليه من إنارة قلوب الملايين، وهو في ظلمات السجون، وصدق الناس في دعوته، فأحبوه واستسلموا لجميع ما وجههم إليه في مئات الرسائل بل الألوف من غياهب السجون والمنافي، وحقد عليه الكاذبون المخادعون، وتلك سنة الله في خلقه:

إذا رضـــــيت عـــــني كـــــرام عشـــــيرتي

فمـــــا زال غضـــــباناً علـــــيّ لئامُهـــــا!

أين أهل الله من أصحاب المصالح والأهواء؟! وان الصراع بينهما، بسبب الإيمان، ليس غير: **(أخرجوهم من قريتكم، إنهم أناسٌ يتطهّرون)**[١٨٨].

هذا الصراع، بسبب الإيمان، ليس غير، إذ هو العقبة الكؤود ضدّ أهواء المستبدين ومصالحهم، والطغاة وجبروتهم: **(وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)**[١٨٩].

٢. **تواضعه في حياته وإنكاره ذاته:** والتواضع من شعب الإخلاص للحق، ونقيضه التكبر، إذ هو تمرّد عليه.

ويرى إمام العلماء، وأمير الحديث النبوي عبد الله بن المبارك ان (رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تُعلِمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل)!

ويرى إمامنا (أن منبع التكبر هو صغر النفس، ومنبع الغرور ضعف القلب)[١٩٠]، فالضعيف بقلبه ونفسه يظهر التكبر ليغطّي ضعفه وتفاهته.

---

١٨٢ سورة الحج- الآية ٧٨.
١٨٣ سورة البقرة- الآية ١٣٨.
١٨٤ سورة النمل- الآية ٨٨.
١٨٥ بديع الزمان النورسي – فكرته ودعوته/١٥٠.
١٨٦ مالك بن دينار.
١٨٧ سورة الجن/ الآية ٢٣.
١٨٨ سورة الأعراف/ الآية ٨٢.
١٨٩ سورة البروج/ الآية ٨.
١٩٠ بديع الزمان النورسي – فكرته ودعوته -/١٥٦.

ثم ان الذات التي هي أعزّ على كل أحد، ينكرها، ويكفيه أنه عبد لله، أسوة برسوله ﷺ: لذا فهو يخاطب من يعتز بـ(أنا)، فيقول:

(يا من يحمل (أنا) مضاعفة، ويحمل في رأسه غروراً وكبرا، عليك ان تعرف هذا الميزان: ان مقياس العظمة في الكاملين هو التواضع، أما الناقصون القاصرون، فميزان الصُّغر فيهم هو التكبر)[١٩١].

ذلك ان الإنسان لو يعرف مقداره لما استعلى على أخيه:

لـــــو عـــــرَف الإنســـــان مقـــــداره
لم يفخـــــر المـــــولى علـــــى عبـــــده
أمـــــس الـــــذي مـــــرّ علـــــى قربـــــهِ
يعجـــــز أهـــــلُ الأرضُ عـــــن ردِّه![١٩٢]

والعالم أبداً متواضع، لأنه يعرف قدر العلم ومقامه، لذا فهو يتواضع مدّعيا الجهل، ونقيضه الجاهل: (لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم،فمتى ظن أنه عالم فقد جهل)[١٩٣].

لذا فان الإمام الشافعي ﷺ وهو الذي ملأ طباق الأرض علما يقول:

كلمـــــــا أدبـــــــني الدهـــــــر
أرانـــــي نقـــــصَ عقلـــــي

وإذا مـــــــا ازددت علمـــــــاً
زادنى علمـــــــاً بجهلـــــــى!

وهو كذلك يتواضع مع الصالحين، ويميِّزهم عليه، ويأمل شفاعتهم!

أحـــــب الصـــــالحين، ولســـــتُ مـــــنهم
لعلّـــــي أن أنـــــال بهـــــم شـــــفاعة
وأكـــــره مَـــــن تجارتُـــــه المعاصـــــى
ولـــــو كنـــــا ســـــواءً في البضـــــاعة!

والمتواضع في نظر العقلاء عظيم وبعيد المنال، حين يتّضع يسمو، والمتكبر الذي يستعلي ويصعد بنفسه على الآخرين يكون حقيراً بنظر المنصفين:

تواضـــــع تكـــــن كـــــالنجم، لاح لنـــــاظر
علـــــى صـــــفحات المـــــاءِ، وهـــــو رفيـــــعُ!
ولاتـــــكُ كالـــــدخان، يعلـــــو بنفسِـــــهِ
إلى طبقـــــات الجـــــو، وهـــــو وضـــــيعُ![١٩٤]

والمتواضع يستصغر قدره التافهون قاصرو النظر، ويستعظمه العقلاء المدركون:

والـــــنجم تستصـــــغر الأبصـــــارُ رؤيتَـــــه
والـــــذنب للطـــــرف، لا للـــــنجم في الصِّـــــغَر

فالتواضع زينة وسموٍ، والكِبْر قذارة وانحطاط.

---

١٩١ المكتوبات/٨٠.
١٩٢ المعري.
١٩٣ حديث نبوي.
١٩٤ أبو تمام.

من أجل ذلك نراه في إنكاره نفسه، يضعها في موازين الاتهام التي يضعها فيه خصومه الحكام والمسؤولون، ويعلل الاحتمالات كلها تعليل مخلص، ميزانه خدمة الله والقرآن والحق والصالحين: اصغ إليه في قوله: (وجّه مدير مسؤول كلمات ملفقة عليّ في غيابي، فيها إهانة وتحقير لي، دون سبب مبرر.

حين وصلني كلام السوء، تألمت،... ثم رفعتني رحمة الله إلى الصفح عنه: **(وأن تعفوا أقربُ للتقوى)!**[١٩٥]

ثم قلت لنفسي في احتمالات:

- **الاحتمال الأول:** إن كان تحقيره وما أورده من نقائص تخصّ شخصي ونفسي بالذات، فليرضَ الله عنه، إذ أطلعني على عيوب نفسي. فان كان صادقاً فسوف يسوقني اعتراضه إلى تربية نفسي الأمارة وتأديبها، فهو إذاً يعاونني في النجاة من الغرور!!
- **الاحتمال الثاني:** وان كان كاذباً، فهو عون لي أيضاً للخلاص من الرياء، ومن الشهرة الكاذبة التي هي أساس الرياء! نعم! إنني لم أصالح نفسي قط، لأنني لم أربّها. فان نبهني أحد على وجود عقرب في أي جزء من جسمي، عليّ أن أرضى عنه، لا أمتعض منه، لعل نفسي تصلح من شأنها بهذا التعذيب فيكون كفارة لذنوبها.
- **الاحتمال الثالث:** أما أن كانت إهاناته تعود لصفة كوني خادماً للإيمان والقرآن، فتلك لا تعود لي، فأحيل ذلك الشخص إلى صاحب القرآن الذي استخدمني في هذه المهمة، فهو عزيز حكيم.
- **الاحتمال الرابع:** وان كان كلامه لأجل تحقيري وإهانة شخصي بالذات والحط من شأني، فهذا أيضاً لا يخصني، لأنني أسير مكبّل وغريب في هذا البلد، فالدفاع عن كرامتي ليس لي فيه نصيب، بل يخصّ من يحكم هذه القرية، ثم القضاء، ثم المحافظة التي أنا ضيف لديهم. إذ أن إهانة أسير تعود إلى مالكه، فهو الذي يدافع عنه.

فاطمأن القلب بهذه الحقيقة، وتلوتُ: **(وأفوّض أمري إلى الله، إنّ الله بصيرٌ بالعباد)**[١٩٦] وأهملت الحادثة، واعتبرتها لم تقع، ونسيتها!

ولكن تبين بعدئذ – مع الأسف – أن القرآن لم يتجاوز عنه، فعاقبه!![١٩٧].

أي إيمان هذا؟ وأيّ إخلاص لله العظيم! وأية شخصية وطنت نفسها للخضوع الكامل لنهجه الحكيم؟! (والله يحكم، لا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب)[١٩٨]، وإن تواضعاً كهذا هو السمو بعينه إلى أعز منزلة، إلى رضوان الله سبحانه، وإلى شفاعة حبيبه المصطفى ﷺ، وجواره في الآخرة:

- **أما احتماله الأول،** فهو دعاؤه لمن نبهه إلى عيوب نفسه، وكان بذلك مقتدياً بالفاروق رضي الله عنه: (رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي)، بل هو بذلك خاضع لوصية رسول الله ﷺ (المؤمن مرآة المؤمن، إذا رأى فيه عيباً أصلحه)[١٩٩].
- **أما الاحتمال الثاني،** فهو تأويل لكذبه عليه في انتقاصه، لعلّ فيه غروراً ورياءً، وحباً للشهرة، فليعاقبها بنقده، ويبعدها عن الكبر والغرور!! ما هذا الورع؟! وآية نفس تتحمل هذا الموقف!! ولعلّ هذا الموقف النادر مستقى من سلوك الفاروق رضي الله عنه حين كان يذرّ التراب على رأسه، فيسأله الصحابة الكرام:

---

١٩٥ سورة البقرة- الآية ٢٣٧.
١٩٦ سورة غافر- الآية ٤٤.
١٩٧ المكتوبات/ ٨٠.
١٩٨ سورة الرعد/ الآية ٤١.
١٩٩ رواه البخاري.

ما هذا يا أمير المؤمنين؟! فكان يجيبهم: (لقد أعجبتني نفسي، فأحببتُ أن أذلها)! وحين كان يركب الحمار من غير سرج، في طرق المدينة المنورة، وقدماه مع الأرض إذ كان طويلاً – بل عملاقا – إذا جلس على كرسيّ عُدّ طويلاً بين الواقفين – فيُقال له: يا أمير المؤمنين، لو أمرت بفَرَس! فيجيبهم نفس الجواب السابق!!

وهكذا فان إمامنا ﷺ، كان بموقفه هذا معاقباً نفسه على ذنوبها وعصيانها.

رأيـــــتُ الـــــذنوب تميـــــت القلـــــوب
ويخـــــــــترم العقـــــــــلَ إدمانُهـــــــــا
يبيـــــــــع الفـــــــــتى نفسَـــــــــه في رداه
وأســـــــــلمُ للـــــــــنفس عصـــــــــيانُها[200]

والجميع ينهلون من الإسلام الذي يفضي إلى نهج مستقيم واحد!

• **أما الاحتمال الثالث:** فانه أورع الجميع، وأشدّه إخلاصا لله، إذ لا يتدخل في أمر الله عزّ وجل، تجاوباً مع قول المصطفى ﷺ: (ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: ما نقص مال من صدقه، وما ظُلِم عبد مظلمة فصبر عليها، الا كان الله عزّ وجل هو المنتصر له، وما فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عز وجل عليه باب فقر)[201]. فما دام الله تعالى هو المنتصر له، فهو ناصره في الدنيا والآخرة ، فليدَعه قرير العين، مرتاح الضمير، وقد صدق الله وعده، وانتقم ممن أساء إليه واعتدى عليه بالكلام.

• **أما الاحتمال الرابع والأخير**، فهو أسير وضيف السجن والقضاء، فالمالك والقضاء يدافع عنه، ولا رأي له إزاءه، في حين أن الأسير له حقوقه: (**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، إنما نُطعمكم لوجه الله، لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً**)[202] ، والضيف في الحديث النبوي هو الأمير، يعامَل هكذا: (الضيف أمير على أهل الدار)!! هكذا علمنا إسلامنا، ولكن المجرمين لا يعلمون! بل ويستعلون!

وفي جميع هذه الاحتمالات فهو في ضبط لعاطفته، وكبت لجماح نفسه، ومتأدب بأدب الإسلام، هادئ النفس، لا خصام من أجل الدنيا، وما دام لا قدرة له عليهم فليدعهم إلى الله المنتقم الجبار، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، (ولا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين، مقنعي رؤوسهم، لا يرتدّ إليهم طرْفهم، وأفئدتهم هواء)[203]. لذا فهو في اطمئنان نفس، حتى في الشدائد، وهو كذلك في جوّ خال من عبث الشيطان وانتقام النفس، مما يهيئ له جوّ العمل الإيماني باطمئنان لا يكدره حقد حتى على أعدائه الذين يبغون القضاء عليه!

أيّ نبل هذا، وأي سمو!! انه خلق الأنبياء.

واليك مثلاً آخر لشخصية الإمام التي هي نبراس الإخلاص والورع:

انه يصف زائريه فيقول:

ليكن معلوماً لدى الجميع أن الذي يزورنا أحد اثنين:

أما أن يأتي إلينا لأجل أمور تخص الدنيا، فذلك الباب المسدود.

أو يأتي إلينا من حيث الحياة الآخرة، فهو أحد رجلين:

---

٢٠٠ إمام العلماء، وأمير الحديث عبد الله بن المبارك.
٢٠١ حديث صحيح.
٢٠٢ سورة الانسان/ الآية ٩.
٢٠٣ سورة إبراهيم/ الآية ٤٣.

أما أنه يتصور أني رجل مبارك صاحب مقام عند الله. فهذا الباب أيضا مسدود، " والذين لهم علاقة بي يعرفونني جيدا: أنني لا أقبل الاحترام لنفسي، بل انفر منه، حتى ان صديقاً فاضلا عزيزا عليّ قد نهرته اكثر من خمسين مرة، لشدة احترامه لي"[٢٠٤]

إذ لا تعجبني نفسي، ولا تعجبني من يعجب بي، فحمداً لله أجزل حمد، إذ لم يجعلني راضياً عن نفسي، وإني مشغول عن غيري بإصلاح عيوبي:

المـــــــرء ان كـــــــان عـــــــاقلاً ورعـــــــاً
أشـــــغله عـــــن عيـــــوب غـــــيره ورعُـــــه
كمـــــــا العليـــــــل الســـــــقيم أشـــــــغله
عـــــن وجـــــع النـــــاس كلهـــــم وجعُـــــه[٢٠٥]

أ- واما لكوني خادماً للقرآن، ودالاً له، وداعياً إليه، ليس إلا، فمرحبا وأهلاً وسهلا، وعلى العين والرأس لمن يأتينا من هذا الباب. وهؤلاء أيضا على ثلاثة أنماط: فاما انه صديق، أو أنه أخ، أو أنه طالب.

فالصديق – شرطه مؤيد. تأييداً جاداً لعملنا في نشر الأنوار القرآنية – رسائل النور – ولا يميل إلى الباطل والبدع والضلالة قلباً، وان يسعى ليفيد غيره.

أما خاصية الأخ وشرطه فأن يكون ساعيا حقيقياً وجاداً لنشر رسائل النور، فضلا عن أدائه الصلوات الخمس واجتنابه الكبائر.

وخاصية الطالب وشرطه ان يعدّ رسائل النور كأنها من تأليفه هو، وأنها تخصه بالذات، فيدافع عنها، وكأنها ملكه، ويدافع عنها وينشرها.

فهذه الطبقات الثلاث تتعلق بالجوانب الثلاثة لشخصيتي:

فالصديق يرتبط بشخصيتي الذاتية، والأخ يرتبط بشخصيتي العبدية: أي كوني اؤدي مهمة العبودية لله تعالى. أما الطالب فهو يرتبط بي من حيث داعياً للقرآن الحكيم ومرشداً إليه.

ولهذا النوع من اللقاء ثلاث ثمرات:

أ- أخذه لجواهر القرآن درساً مني أو من رسائل النور – في الدعوة إلى القرآن.

ب- المشاركة في ثوابي الأخروي – في عبوديتي لله.

ج- التوجه معاً إلى الرحمة الإلهية قلبيا، متساندين في خدمة القرآن.

وبذا فقد تجاوب إمامنا الصالح مع عبد الله مسعود (رضي الله عنهما) في قوله: (ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله، فمن كانت راحته في لقاء الله فكأن قد) – أي كان قد لقي الله.

من خلال هذا المثال الثاني تتوسع امامنا آفاق شخصيته، في أنها تعيش للآخرة، وليس لدنياه فيها نصيب إلا بالقدر الذي يخدم فيها ربه، ويقيم دنياه ودنيا المؤمنين على نهج الله، وما سواه، لا يلتفت إلى نفسه فيه، لا من قريب ولا من بعيد. ذلك أن يهدف إلى بناء دنيا عزيزة للمؤمنين، وصدق الشهيد الإمام البناء (رحمه الله) حين قال: (ان دنيانا قصيرة، فيجب أن تكون عظيمة، والله إنا لنرجو أن نفارقها بعمل سليم، فان لم نجد فبقلب سليم).

---

٢٠٤ المكتوبات/ ٨٢.
٢٠٥ الإمام الشافعي

والإمامان رحمهما الله ينهلان في دعوتهما من معين واحد وهو الإسلام! هدي ربّ العالمين: (**قل: ان هدى الله هو الهدى، وأُمِرنا لِنُسلم لربّ العالمين**)[٢٠٦] ، وما سواه، لا يلتفت إلى نفسه فيه، إنها الأمانة التي يحملها بكل طاقاته، إلى أهل الدنيا أجمع، ابتداء بإخوانه وتلاميذه وأصدقائه، والمسلمين ومَن وراءهم، لإيصال دعوة الله إلى أبعد أفق يقدر عليه. ودعوة الله أشرف أمانة وأثقلها وأغزرها ثواباً عند الله: (**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها،...**)[٢٠٧]، وهي مسؤولية كل مسلم، ولكن أين من يستشعرها ويؤتيها حقها؟! إلا المخلصون الأوفياء مع ربهم: (ما منكم من أحد إلا وهو على ثغرةٍ من ثغور الإسلام، فالله الله أن يُؤتَى الإسلام من قِبَله)![٢٠٨]

إنها مسؤولية اهتدى إلى عظمتها إمامنا الصالح ﷺ ، فحصر حياته فيها وكيف لا يكون الداعية المتجرد كذلك، والمصطفى ﷺ قائد الدعاة – إمامه يبكي من هول الحساب يوم القيامة على مسؤولية الدعوة، كيف سيلقى الله، وهو سيّد الأصفياء وإمام المتقين الأبرار؟!

قال ﷺ لعبد الله بن مسعود ﷺ: (إقرأ عليّ القرآن) فقال له: (أأقرأ عليك القرآن، وعليك نزل)؟! فقال ﷺ: (نعم، فاني أحبّ أن أسمعه من غيري)، فقرأ عليه من سورة النساء، حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)؟[٢٠٩] قال ﷺ: (أكفف)، يقول ابن مسعود، (فنظرت إلى وجه رسول الله ﷺ فإذا عيناه تذرفان)!! صلى الله عليك وسلم! يا رسول الله يا نبي الأمانة والإخلاص والدعوة.

٣- **الصبر والثبات والإرادة العزوم**: لولا الإخلاص الصادق مع ربه في دعوته لما ثبت فيها منذ حداثته حتى غرغر بالموت، وان حياة سبعين سنة في جهاد موصول – باستثناء الاثنتى عشرة الاولى في طفولته، والسنين الخمس المتفرقة في حياته، لحياة صبر وعناء – تنوء بحملها الجبال الشمّ، وكواهل الرجال الاشداء، رغم ضعفه ومرضه وهزاله وشيخوخته!

وقيمة الرجال بعزائمهم، هكذا كان إمامنا الصالح، تجاوباً مع الفاروق ﷺ: (لا تصغرَنّ هممكم، فإني لم أرَ أقعدَ عن المكرمات من صِغَر الهمم).

ولكن عمله لله عزّ وجل يذلل له الصعاب، ويغريه بالمزيد، إذ (لا خير من الخير الا ثوابه، ولا شرّ من الشرّ الا عقابه)[٢١٠] ، ثم ليغضب عليه الناس، فلا ضير عليه ما دام الله راضيا عنه: (ما عليك أن تكون مذموماً عند الناس ومحموداً عند الله تعالى)[٢١١].

ومن دلائل صبره العجيب – والشواهد كثيرة – ما يرويه عن نفسه: (أنه حيل بينه وبين أصدقائه ومعارفيه وأقربائه سنين، إذ أُبعِد أكثر من ١٥٠٠كم عن مدينته في وان – إلى قرية في أقصى الغرب لا يلقى فيها واحداً أو اثنين من الأحباب خلال اسبوع إلا مرة أو مرتين، غير أن هذا المنع لا يبعدّ القلوب عن بعضها، بل يزيدها شوقاً وحنانا وتماسكا:

وان كانـــت الاجســـام منـــا تباعـــدت
فـــان المـــدى بـــين القلـــوب قريـــب!

---

٢٠٦ سورة الأنعام/ الآية ٧١.
٢٠٧ سورة النساء/ الآية ٥٨.
٢٠٨ حديث نبوي.
٢٠٩ سورة النساء/ الآية ٤١
٢١٠ الإمام الشهيد حسن البناء
٢١١ الصديق (رضي الله عنه).

وفي الحديث النبوي الصحيح: (الأرواح جنود مجندة: ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)٢١٢، أما الضيوف القادمون فلا يسمح لهم اللقاء به إلا دقيقة أو دقيقتين خلال شهر، والمسألة أخرويه. مُنِعت عن كل الناس، عن كل شئ، وبقيت وحيداً غريبا – لسنين...!

عنـــــاءٌ ويـــــأس، واشـــــتياقٌ وغربـــــةٌ
وهجـــــر حبيـــــب، انَّ ذا لعظـــــيم![٢١٣]

عمرّت مسجداً خَرِباً، وقمت فيه بالإمامة لأربع سنين – نسأل الله القبول – غير أني لم استطع الذهاب اليه في رمضان، فصليت منفردا...).[٢١٤]

ولئن حُرِمت اللقاء بالناس، فإني معهم بالروح، إضافة إلى امتداد روحه من خلال رسائله إليهم:

لـــــئن اصـــــبحتُ مـــــرتحلاً بجســـــمي
فروحـــــي عنـــــدكم أبـــــداً مقـــــيمُ
ولكـــــن للعيـــــان لطيـــــف معـــــنى
لـــــذا ســـــأل المعانيـــــةَ الكلـــــيمُ![٢١٥]

ويقول بنفس المعنى ابن حزم رحمه الله:

يقـــول أخـــي: شـــجاك رحيـــلُ جســـمٍ
وروحـــــك مالـــــه عنّـــــا رحيـــــلُ
فقلـــــت لـــــه: المعـــــاين مطمـــــئن
لـــــذا طلـــــب المعاينـــــةَ الخليـــــل!

وسأستمر على هذا الصبر والتحمل باذن الله.

وصدق في إمامنا قول الشاعر:

سأصـــبر حـــتى يعلـــم الصـــبرُ أنـــني
صـــبرتُ علـــى شـــئ أمـــرّ مـــن الصـــبر![٢١٦]

وهو صابر فيما يصيبه شخصياً، ولكنه ثائر ضد انتهاكات الإسلام من قبل الطغاة من المسؤولين، وهو القائل (الرضا بالكفر كفر، والرضا بالظلم ظلم)!

ثم ان الشدائد والمحن بعقيدته تقوي العزيمة وتضاعفها، ولا تدعوه إلى اليأس قط، إذ اليأس قرين الكفر: (**... ولا تيأسوا من رَوْح الله، انه لا ييأس من رَوْح الله الا القوم الكافرون**)[٢١٧]، واليأس ضلال ومتاهة: (**ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون**)؟![٢١٨]

لذا فهو بالحق الذي يؤمن قوي، وشعاره (القوة في الحق، وليس الحق في القوة)[٢١٩] فلو جعلتم الدنيا على رأسي ناراً تتأجج، فان هذا الرأس الذي أضحّي به فداء للحقيقة القرآنية، لا يخضع لكم أبداً)[٢٢٠].

---

٢١٢ حديث نبوي
٢١٣ الشهيد مروان حديد
٢١٤ المكتوبات/ ٨١.
٢١٥ الإمام ابن حزم الاندلسي.
٢١٦ الصبر: هو نبات مرّ علقم يسمى بـ(الصُّبَّير) كذلك.
٢١٧ سورة يوسف/ الآية ٨٧.
٢١٨ سورة الحجر/ الآية ٥٦.
٢١٩ هذه الفقرة الثانية (الحق يكمن في القوة) هي الفقرة الاولى من بروتوكولات صهيون – ارجع إلى تفصيلها في كتاب (مصادر العقيدة اليهودية وخطرها على المسلمين والبشرية) – للباحث.

وفي هذه القوة – الحق – يتجاوب مع كلمة الإمام الشهيد حسن البناء، إذ يقول: (في أيديكم أقوى القوى: الإيمان والحق، والحجة والدليل، وفيها الكفاية، والعاقبة للمتقين، والله غالب على أمره).

والذي شعاره (القوة في الحق)، له من قوة شخصيته المستمدة من ثقته بربه، ما يفوق القوة المادية في البناء للحق والهدم للباطل، وله من الثقة بها ما يمكنّه بعون الله من التفوق بحقه الذي يستولي على مشاعره، ويهديه في ظلمات الحياة! وهو مع صراعه الرهيب إزاء الباطل سعيد ومسرور:

ومـــــن تكـــــن العليـــــاء همـــــة نفســـــه

فكـــــل الـــــذي يلقـــــاه فيهـــــا محبـــــب![٢٢١]

وأن ثأره لله ولدعوته في مضايقاته فيها، كان جحيماً على رؤوس أعدائه ليزيدوا من طاقاته في الدعوة إلى أنوار القرآن، وكان يقول: (ان جميع مضايقاتهم واستبداداتهم تصبح كالحطب، لإشعال نار الهمة والغيرة، لتزيد أنوار القرآن، وان (قرية بارلا) رغم انفهم صارت كرسي الدرس. وانتشرت مدارس النورانيين في كثير من القرى والمدن حولها،...)[٢٢٢]

وان نار الهمة الملتهبة على رؤوس أعدائه كانت كالاعاصير تعصف بهم:

ان الريـــــــاح إذا اشـــــــتدت عواصـــــــفها

فـــــلا ترمـــــى ســـــوى العـــــالى مـــــن الشَـــــجَر

فقد أعانت دعوته عصمت اينونو أن يتولى السلطة ضد الطورانيين، بسبب ميوله الإسلامية، ثم عصفت به، واعترف بأن النورانيين أسقطوه، حينما لم يستجب لهدي القرآن.

وهذا الالتجاء الصادق للدعاة إلى الله في الأزمات هو سبيل القادة المصلحين. وما أحكم مقولة الإمام الشهيد حسن البناء في هذا المجال: (ما زاد أعداؤنا إلا أن ذكّرونا بربنا)!

ولا غرو فان هذا الإيمان الدفاق والصبر والثبات والإرادة الصلبة مكنّت إمامنا سعيد على ضعفه ومرضه وشيخوخته وغربته وانفراده في سجنه واقاماته الجبرية – لعقود متلاحقة من عمره – مكنت له رسوخ دعوته، ذلك أن من يك مع الله يكن الله معه (عبدي كن لي أكن لك)[٢٢٣] ، لذا فان قوته كانت مستمدة من تأييد ربه: (ولينصَرنّ اللهُ من ينصره، ان الله لقويّ عزيز)[٢٢٤].

كان يقول عنه سجانوه: (إنّ لسعيد من القوة ما لخمسين ألف رجل، لذا فلا يمكننا إطلاق سراحه! بل لم يسمحوا له حتى بالوقوف على جبل من الجبال القريبة من (بارلا) التي نفي إليها.

ويعلّق إمامنا: لقد توهموا: إن رجلاً عاجزاً غريبا في هذه الدنيا ضعيف بميزان الدنيا، أما بفضل الإيمان، وبحكم مهنتي في قوة خمسين ميليون شخص، انني بقوة القرآن الكريم أتحدى أوروبا كلها، بما في ذلك ملاحدتكم،... وشمعة اوقدها المولى، لا تطفئها الأفواه،...

وان كان لأهل الدنيا حكم وسطوة وقوة، ففي خادمه بفيض القرآن: علم لا يلتبس، وكلام لا يسكت، وقلب لا ينخدع، ونور لا ينطفئ،...)[٢٢٥].

---

٢٢٠ المكتوبات/٥٤٨.

٢٢١ والعلياء هنا هو السمو في المنازل عند الله تعالى بالعمل الصالح.

٢٢٢ المكتوبات.

٢٢٣ متفق عليه.

٢٢٤ سورة الحج/ الآية ٤٠.

٢٢٥ المكتوبات/٩١،٩٠.

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهُدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون)[٢٢٦].

ولِمَ يخفت صوته، ويهدأ في زحام دعوته؟ لا مرضه ولا ضعفه يحول دون ذلك، ما دام مع خالقه القوي الجبار:

فـــإن أمـــرض فمـــا مَـــرَض اصـــطباري
وإن أُحْمَـــمَ فمـــا حُـــمَّ اعتزامـــي
وإن أســـلم فمـــا أبقـــى، ولكـــن
ســـلمت مـــن الحِمـــام إلى الحِمـــام[٢٢٧]

ومن يك بهذه العزيمة الوقادة النابعة من الإخلاص والصدق والوفاء مع الله، فلا يهاب الدنيا مجتمعة، لا يهاب الموت، بل يتحداه، ويتمنى الشهادة، وقد يهرب منه، فلا يدركها، مع حرصه عليها:

رَكضـــاً إلى الله بغـــير زاد
إلا التقـــى والعمـــل المعـــاد

وكـــل زاد عرضـــة النفـــاد
غـــير التقـــى والـــبرّ والرشـــاد!

ولو بقيت الحياة لأحد، لكان الجبناء أحكم الناس!

ولـــو أن الحيـــاة تبقـــى لحـــيٍّ
لعـــددنا أضـــلّنا الشـــجعانا
واذا لم يكـــن مـــن المـــوت بُـــدٌّ
فمـــن العجـــز أن تكـــون جبانـــا[٢٢٨]

وما اكثر ما كان يردد: (إذا متّ فأنا مجاهد، وإن قتلت فأنا شهيد)[٢٢٩]. لذا كان من ثمار إخلاصه في عقيدته: شعوره حين دخول المقابر بالسعادة والاطمئنان.[٢٣٠]

ثالثاً: بماذا يعيش إمامنا؟

والله ان كل أمره لعجيب، وأعجب العجب هذا السؤال! وجوا به أعجب منه!

انه قد حرّم على نفسه راتب الدولة، لما يشوبه من حرمه- باجتهاده وأمانته، وليس له مورد، إلا رسائله، بعد الخمسين من العمر، وما يأخذ منها إلا النزراليسير، أما عشرات السنين التي في السجون، فلا بدّ له من طعام المسجونين!!

لقد بقيت نفسه في عزة، وعقله في رزانة، وقلبه في صفاء مع ربه، بسبب عفته عن أي طمع في أموال الناس، وكأنّ شعاره الحكمة المشهورة: (أكثر مصارع العقول تحت بريق الأطماع)!، لقد عاش معدماً، ومن أين للمعدم المال لينفقه؟!

---

٢٢٦ سورة الصف/ الآية ٧،٨.
٢٢٧ المتنبي.
٢٢٨ المتنبي.
٢٢٩ المكتوبات/٣٢١..
٢٣٠ المصدر السابق/ ٣٢١

إذا المـــرء لا يُفتـــق مـــن المـــال نفسَـــه
تملّكـــه المـــال الـــذي هـــو مالكُـــه
ألا إنمـــا مـــالى الـــذي أنـــا منفـــقٌ
ولـــيس لى المـــال الـــذي أنـــا تاركـــه
إذا كنـــت ذا مـــالٍ فبـــادر بـــه الـــذي
بحـــق، وإلاّ اســـتهلكته مهالكُـــه![٢٣١]

انه يسأل سؤالنا: (يسأل أهل الدنيا: كيف يعيش سعيد؟! وهو بغير عمل؟!

ويجيب: إنني أعيش بالاقتصاد والبركة، لا أقبل من غير رزاقي الله مِنّة من أحد، وقررت ألاّ أقبلها طوال حياتي!!

لا تحملـــنّ لِمـــنَ يَمَـــنّ
مـــن الأنـــام عليـــك مِنّـــة
واخـــتر لنفســـك حظهـــا
واصـــبر، فـــان الصـــبر جُنّـــة
مـــنن الرجـــال علـــى القلـــوب
أشـــدّ مـــن وقـــع الأســـنة[٢٣٢]

ثم يبيّن عيشته وما فيها من صبر وفاقة وتحمل ورضا وأنس!! إنها البركة، ليس غيرها!! (أعيش بمئة بارة – أي قرشين ونصف – بل بأربعين – أي بقرش واحد)[٢٣٣].

ثم انه بورعه يتحرّج من ذكر فقره، لئلا يحمله ذلك على الغرور وحبّ الذات!! فيقول: ما كنت أرغب مطلقا أن أوضحّ هذه المسألة، خشية الشعور بالغرور والأنانية وشئ من الرياء، فتمحق تلك البركة الربانية، إذ أن إظهار البركة المخفية بافتخار مدعاة لانقطاعها! فاكره أن أبوح بها! وهو يحذر أن يظن القارئ أن هذه البركات دليل صلاحه، وإنما يراها إحساناً إلهيا إلى أصدقائه الضيوف المخلصين القادمين إليه، أو أنها إكرام الهي لخدمة القرآن الكريم، أو أنها منافع مباركة للالتزام بالاقتصاد أو أنها رزق للقطط الأربعة[٢٣٤] – وسيأتي ذكرها.

ثم يستأنف الجواب: (إني أرفض الزكاة والمرتب الحكومي، إلا لسنتين فقط حين كنت في دار الحكمة الإسلامية، وبإصرار...

أعيش بالبركة والإكرام الإلهي، وهذا الشعور من ثمرات الإخلاص المحض. إن نفسي الأمارة، مع أنها تستحق كل إهانة وتحقير، إلا أنني – في الأرزاق – احظي بالبركة التي هي إكرام الهي! يمنح كرامة من كرامات خدمة القرآن الكريم.

ثم يضرب أمثلة على هذه الكرامات، ويصدّرها بقوله تعالى: (**وأما بنعمة ربك فحدثْ**)[٢٣٥]، نعم إن من يقبل إلى الله تعالى وخدمة كتابه بإخلاص صادق يكرمه:

---

٢٣١ المكتوبات/ ٨٣.
٢٣٢ الإمام الشافعي.
٢٣٣ اربعون بارة – قرش واحد، وعشرة قروش تعادل ليرة تركية واحدة – المترجم الاستاذ احسان قاسم الصالحي.
٢٣٤ أبو العتاهية.
٢٣٥ أبو الاسود الدؤلي.

وإذا طلبـــــتَ مـــــن الحـــــوائج حاجـــــةً
فـــــادعُ الالـــــه، وأحســـــن الاعمـــــالا
فليعطينّـــــــك مـــــــا أراد بقـــــــدرة
فهـــــو اللطيـــــف لمـــــا أراد فِعـــــالا
ودع العبـــــــادَ وشـــــــأنهم وأمـــــــورهم
بيـــــد الإلـــــه يقلـــــب الأحـــــوالا[٢٣٦]

١ – طعامه: لقد كفاني من الشهور الستة الماضية (٣٦) رغيفا خبزاً من كيلة من الحنطة (٤٠ لتراً من الحبوب)[٢٣٧] ولا زال الخبز باقياً، ولا أعرف متى ينفد، وقد دام سنة كاملة!

في شهر رمضان لم يأتني طعام إلا من بيتين اثنين، وقد أمرضاني كلاهما. ففهمت من هذا أنه ممنوع عليّ طعام الآخرين! إنها لطمة رأفة، وصفعة رحمة! هكذا يراها إمامنا لإخلاصه وورعه!

رمضان.

ولقد كفتنا أوقية واحدة من الرز، وثلاثة أرغفة من الخبز، بقية أيام شهر رمضان! بل ان الرز قد استمر خمسة عشر يوماً أخر بعد شهر رمضان![٢٣٨]

لقد كفتنا أنا وضيوفي الكرام أوقية واحدة من الزبد، رغم تناوله يومياً مع الخبز، إذ ليس حولنا أحد حتى مسافة ساعتين، لنبتاع منه. فقال ضيفي: إني أرغب أن أبيت معك ليلة الجمعة المباركة على قمة هذا الجبل، لأ تضرع معك إلى الله.

فقلت: توكلنا على الله. اذن أبقَ معي.

ثم يواصل قصته العجيبة: صعدنا قمة الجبل سيراً، وليس معنا إلا القليل من الماء مع شيء من الشاي والسكر، وبدأ (أخي في الآخرة) يهيىء الشاي.

جلست تحت شجرة قطران أتأمل في مشاهد واد عميق، وليس لدينا إلا كسرة من خبز متعفِّن، ربما يكفينا كلينا هذا المساء، ولكن كيف باليومين التاليين؟...

وبينما أنا كذلك إذ برأسي كأنه يدار إلى الشجرة، فألتفتّ وإذا بي أرى رغيفا كبيراً فوق شجرة القطران ينظر إلينا بين أغصانها: فقلت: أبشر يا سليمان، فقد أنعم الله سبحانه علينا برزق. فأخذنا الرغيف من الشجرة، وفتشنا عن أثر من أثار الحيوانات والطيور عليه. وإذا به سالم من أي تعرض كان من الحيوانات، فضلا عن أنه لم يصعد هذا الجبل منذ ثلاثين يوماً أحد من الناس. فكفانا ذلك الرغيف يومين – وما أوشك على النفاد إذ بالرجل الصالح (سليمان كروانجي) الذي كان صديقا صادقا طوال أربع سنوات يصعد الجبل متوجهاً نحونآ، اتياً لنا بالخبز![٢٣٩]

كم جميل بإمامنا هذا الزهد في الدنيا، وهذا العفاف! وصدق إمام. المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه – حين قال: (العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى)!

ولقد كان لقناعته في القليل سرور لا يعدله ملك الدنيا، بسبب عفته واستغنائة عن الناس ومنّتهم:

أمـــــتُ مطـــــامعى، فأرحـــــتُ نفســـــى
فـــــإن الـــــنفس مـــــا طمعـــــت تهـــــون

---

٢٣٦ المكتوبات/٨٣.
٢٣٧ المكتوبات /٨٣
٢٣٨ أربعون بارة قرش واحد، وعشرة قروش تعادل الليرة تركية واحدة – المترجم الأستاذ أحسان قاسم.
٢٣٩ المكتوبات/ ٨٤

واحبيـــــت القنـــــوع، وكـــــان ميتـــــاً
ففـــــى احيائـــــه عـــــرض مصـــــون
إذا طمـــــع يحـــــلّ بقلـــــب عبـــــدٍ
علتـــــه مهانـــــةٌ، وعـــــلاه هـــــون![٢٤٠]

وصدق الإمام الشافعي– وهذا إمامنا شاهد على صدقه – إذ يقول:

إذا كنـــــتَ ذا قلـــــب قنـــــوع
فأنـــــت ومالـــــك الـــــدنيا ســـــواء!

٢–لباسه: ثم ينتقل بعد طعامه الذي لا يقنع به أفقر الفقراء! إلى ملبسه، فيقول:

إن هذه الستره (الجاكيت)، قد اشتريتها مستعملة قبل سبع سنين، وكفت أربع ليرات ونصف الليرة: لمصاريف خمس سنوات مضت للملابس والحذاء والجوارب، فلقد كفتني البركة والاقتصاد والرحمة الالهية.

نعم هكذا ملبسه! ملابس مستعملةُ تقيمه لسنين، وهو في هذا المقام أميرٌ على القلوب والعقول.

وقد استوى هو والإمام الشافعي (رضي الله عنهما) في الملبس والمظهر، اضافة إلى المخبر، أما القلوب فميزانها بيد الله وحده – ولا أزكيه على الله:

علـــــيّ ثيـــــابٌ لـــــو يبـــــاع جميعهـــــا
بفلـــــس، لكـــــان الفلـــــس مـــــنهن أكثـــــرا
وفـــــيهن نفـــــسٌ، لـــــو تقـــــاسُ ببعضـــــها
نفـــــوس الـــــورى، كانـــــت أجـــــلّ وأكـــــبرا

هكذا يكون الزعماء تواضعاً وزهداً وعفة، وإمامنا في ذلك (الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه) المكنيّ بأبي تراب، وكذا السلف الصالح رضوان الله عليهم. وان الشاعر المسلم الزاهد الصوفي محمد اقبال، يفضل انساناً كهذا على سائر الملوك والأقاصرة!

فقـــــيرٌ علـــــى طِمريـــــه نفحـــــةُ حيـــــدرٍ
أحـــــبّ لنـــــا مـــــن ألـــــف كســـــرى وقيصـــــر!

سرّ البركات الالهية: ثم يحيلنا إلى أمثلة كثيرة للبركات الالهية، ويشهد أهل قريته على ذلك،..

ثم يستأنف الحديث في ذكر البركات، فيستشهد بالقطط الاربع التي كانت تلازمه، وتموء بجانبه، وهي تناجي ربها – كما يفهمها – فتنادي ربها: يا رحيم، يا رحيم، يا رحيم! فان أرزاقها تأتيها على صورة بركة، وهو يفيد من بركاتها! بأن يأكل هو منه!

ويعلن عن قناعته التامة أن ما كان يعيش به من بركات، انما هو من بركات تلك القطط، وهو يعلن اعلانا قاطعاً أنها ما كانت حملا ولا عبئاً عليه، ولم تكن تحت منّته، وانما هو تحت منّتها!

ثم يعيد الحديث عن قططه الأربعة بعد مئة وخمسين صفحة، فيستقصي منها العبر، فيقول:

(إيها الانسان! ان حيواناً شبه مفترس، يأتي ضيفاً إلى بيت، يكون محوراً للبركة، فيكف اذا حلّ في البيت من هو أكرم المخلوقات، وهو الانسان؟! ومن هو اكملهم (المؤمن)، ومن هو من العجزة والمعلولين المعمّرين، من بين أهل الايمان؟!

وأولى من يستحقها الأقربون، وأولاهم الوالدان! (لو لا عبادٌ رُكّع وصبيةٌ رُضّع، وبهائم رُتَّع، لصُبّ علكيم البلاء — العذاب — صبّا).[٢٤١]

---

٢٤٠ الإمام الشافعي (رضي الله عنه)

فان كنتَ تريد رحمة الرحمن، فارحم ودائع ذلك الرحمن، وما استودعك في بيتك من أمانات.[٢٤٢]

ويوصي بالامهات خيراً، ويذكر حديث المصطفى (عليه الصلاة والسلام): (الجنة تحت اقدام الامهات)[٢٤٣]، (الزم رجلها، فثمَّ الجنة).[٢٤٤]

ثم ينتقل من بركات مَن في البيت من قحط ومن أناس صالحين إلى أمر أعزب منه في ضيافته!

انه (دجاجته) وفرخها البياض! فيحدِّث عنهما الأعاجيب! انه يقول:

كانت لي دجاجة تجلب لي من خزينة الرحمة الالهية بيضة واحدة يوميا، في هذا الشتاء، بانقطاع قليل جدا، وذات يوم وضعت بيضتين معا، فاحترت منها، واستفسرت عن أحبابي: هل يحدث مثل هذا في هذا الشتاء؟ قالوا: ربما هي أحسان الهي!

كان لهذه الدجاجة فرخٌ في الصيف. بدأ الفرخ بوضع البيض بداية شهر رمضان المبارك، واستمر الوضع طوال أربعين يوماً، فلم تبق لديّ شبهة ولا لدى اخوتي الذين يقومون بخدمتي من أن هذا الوضع المبارك للبيض في هذا الشتاء، ومن فرخ صغير، في شهر رمضان، انما هو اكرام الهي ليس إلاّ، ثم ان الفرخ بدأ بالوضع حالما قطعته الأم، فلم يدعني دون بيضة، والحمد لله!![٢٤٥]

وهكذا يروي قصة معيشته بالكفاف، بل دون الكفاف، وهو قانع بها شبه الملك، يتيه بها على الناس، بفضل الله واكرامه:

رأيـــــت القناعـــــة رأس الغـــــنى
فصـــــرتُ بأذيالهـــــا ممتســـــك
فـــــلا ذا يـــــراني علـــــى بابـــــه
ولا ذا يـــــراني بـــــه منهمـــــك
فصـــــرتُ غنيـــــاً بـــــلا درهـــــم
أمـــــرّ علـــــى النـــــاس شـــــبه الملـــــك[٢٤٦]

كان يتيه على الناس بقوله: (أنا أغنى منكم بكثير،... وكان يرفض دائماً، من يعرض عليه زكاته أو هدية من نقد أو طعام،... بل ان الذين عرضوا عليه زكاتهم قد غلبهم الدين بعد سنتين، لعدم اقتصادهم![٢٤٧]

والذي حمله على القناعة، والرضا بعُدْمِه عزته، إذ أن عزّة المسلم من عزة الله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).[٢٤٨]

ولعل أجمل من صوّر العفة والعزة الإمام الشافعي ﷺ في أبيات غريبة من الشعر:

لَقلـــــعُ ضـــــرسٍ وضـــــرب حـــــبس
ونـــــزع نفـــــس وردّ أمـــــس
وقِـــــرّ بـــــردٍ وقَـــــوْد فـــــرد
ودبـــــغ جلـــــد بغـــــير شمـــــس

---

٢٤١ رواه الطيالسي والطبراني وابن عدي، والسيوطي – قال المناوي نقلا عن الهيثمي: هو ضعيف – كشف الخفاء /١٦٣.
٢٤٢ المكتوبات/٣٣٧.
٢٤٣ رواه الحاكم، وهو صحيح الاستاد.
٢٤٤ رواه ابن ماجة – حديث حسن.
٢٤٥ المكتوبات/ ٨٢ – ٨٥.
٢٤٦ الإمام الشافعي
٢٤٧ اللمعات/٢١٧.
٢٤٨ سورة المنافقون/ الآية ٨.

وأكـــــــل ضَـــــــبٍّ وصـــــــيد دُبّ
وصـــــرف حـــــبّ بـــــأرض خُـــــرس
ونفـــــــخ نـــــــار وحمـــــــل عـــــــار
وبيـــــــــع دار بربـــــــــع فلـــــــس
وبيـــــــع خـــــــفٍّ، وعُـــــــدْم أُلـــــــفِ
وضـــــرب الـــــفِ بحبـــــل قلـــــس[٢٤٩]
أهـــــون مـــــن وقفـــــة الحـــــرّ
يرجـــــو نـــــوالاً ببـــــاب نحـــــس

ثم ان عفته هذه حملته على الاقتصاد(!) أيّ اقتصاد هذا من أيّة ثروة! ولا يملك من حطام الدنيا شيئاً! ولكنها عبرة ونصيحة، يسوقها إلى قرائه، من خلال رسائله النورانية الحكيمة!

٣- اقتصاده:

لقد أشرت قبل قليل إلى ما قاله امامنا الصالح، من أن الذين عرضوا عليه زكاتهم، قد غلبهم الدين بعد سنتين، لعدم اقتصادهم، وصدق (عليه الصلاة والسلام) اذ قال: (ما عال من اقتصد)(١) انه يضرب مثلا نفسيا في الاقتصاد:

وذلك بأن نفترض أمامنا لقمتين: لقمة منها من مادة مغذية كالجبن والبيض - يقدر ثمنها بقرش واحد، والثانية حلوى فاخرة يقدر ثمنها بعشرة قروش، فهما متساويتان - بالفائدة الغذائية - قبل دخولهما الفم، من حيث انماء الجسم وتغذيته، بل قد يغذي الجبن أفضل من اللقمة الثانية.

غير أن ملاطفة القوة الزائفة في الفم التي لا تستغرق سوى نصف دقيقة...

فلنقدر مدى الأسرار في صرف عشرة قروش، بدلا عن قرش واحد في سبيل الحصول على لذة تستقرق نصف دقيقة!(٢)

ثم انه يضرب مثلا آخر، جميل المعنى في الربط بين العفة والإقتصاد:

أقام حاتم الطاني ضيافة عظيمة، وأغدق هدايا ثمينة على ضيوفة، ثمّ خرج للتجول في الصحراء، فرأى شيخا فقيرا يحمل على ظهره حملا ثقيلا من الحطب والكلأ والشوك، والدم يسيل من بعض جسمه، فقال له:

إيها الشيخ أن حاتما الطائي يقيم اليوم ضيافة كريمة، ويوزع هدايا ثمينة، بادر إلأيه، لعلك تنال منه أموالا أضعاف أضعاف ما تناله من هذا الحمل!!

فأجاب الشيخ المقتصد العفيف: سأحمل حملي هذا بعزة نفسي وعرق جبيني، ولا أرضى أن أقف تحت طائل مِنّة حاتم الطائي!

ولما سئل حاتم الطائي يوما: مَن مِن الناس وجدتم أعز منك وأكرم؟

قال: ذلك الشيخ المقتصد الذي لقيته في المفازة ذات يوم. (لقد رأيته حقا أعز مني وأكرم)!(٣)

أنه نعيم القلب، وهزال الجسد، وعدم المال، غير أن سلامة القلب من الضعف والهزال، وأمتلاءه بنور الله ورضاه يعدل الدنيا، ويفيض، إذ هو في نعيم موصول لا ينقطع، ورائده في هذه الحياة حكمة

---

٢٤٩ ضخم.

(١) رواه أحمد عن ابن مسعود (رضي الله عنهما).

(٢) اللمعات /٢١٦.

(٣) المعات/٢١٧.

الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): (وأيم الله، لو مرضت قلوبكم، وصحت أجسامكم، لكنتم أهونَ على الله من الجُعَلان)(٤)

رضي الله عنهما، وعمن نهج نهجهما في العالمين، وأسكنهم النعيم الخالد، ما دامت السماوات والأرض: اللهم آمين: (انما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب)

(٤) حياة الصحابة/ج/٣/٥٠٨، والجعلان: دويبة صغيرة، تعيش في أنفاذ دورات، وندفع النتن بأنفها.

الخاتمة

لقد قلب إمامنا الصالح خطط الملحدين والعلمانيين والعملاء في تركيا رأساً على عقب، واثمرت دعوة الاخلاص لله جيلاً صلب الارادة لايلين :

واشـــــدد يـــــديك بحبـــــل الله معتصـــــما
فانـــــه الـــــركن، ان فاتتـــــك اركـــــان
مـــــن يتـــــق الله يُحمـــــدُ فى عواقبـــــه
ويكفيـــة شـــرّ مـــن عـــزّوا، ومـــن هـــانوا
مـــــن اســـــتعان بغـــــير الله في طلـــــب
فـــــان ناصـــــره عجـــــز وخـــــذلان[٢٥٠]

لقد طلب الاخرة وأحبها، فأكرمه الله بنصر الدنيا وثواب الاخرة: **(من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها، وماله في الاخرة من نصيب)**[٢٥١].

وقد ابغض الدنيا ومتاعها بخوف الله من التعلّق بها، فهانت بين يديه :

بغـــض الحيـــاة، وخـــوف الله اخـــرجني
وبيـــع نفســـى بمـــا ليســـت لـــه ثمنـــا
انى وزنـــت الـــذي يبقـــى ليعدلـــه
مـــا لـــيس يبقـــى، فـــلا والله مـــا اتّزنـــا[٢٥٢]

هذه خاتمة بكلمات – سهلٌ كتابتها والحديث بها : العيش للاخرة، وبغض الدنيا، والترفّع عنها، ولكنّ الرجل من يحيلها الى واقع في سلوكه! لايحيد عنها! وان القيم الاسلامية جميعها كامنة في هذه الغاية التي ترضي خالقه فيستشعرمعّيته على كل حاله:

مـــــع الله في سَـــــبَحات الفِكَـــــر
مـــــع الله في لمحـــــاتِ البصـــــر
مـــــع الله في زفـــــرات الحشـــــا
مـــــع الله في نبضـــــات البَهَـــــر
مـــــع الله في رعشـــــات الهـــــوى
مـــــع الله في الخلجـــــات الأُخَـــــر

---

٢٥٠ أبو الفتح البستي.

٢٥١ الشورى / ويؤكد القران هذا المعنى في ايات كثيرة، منها: (من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا. ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن، فأولئك كان سعيهم مشكورا. كلاً نُمِدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا. انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللاخرة أكبر درجات واكبر تفضيلا)– الاسراء ١٨-٢٢.

٢٥٢ امام العلماء وامير الحديث عبد الله بن المبارك.

مـــــــــع الله في مطمـــــــــئن الكـــــــــرى
مـــــــع الله عنـــــــد امتـــــــداد الســـــــهر
مـــــــع الله حـــــــال اتقـــــــاد الأســـــــى
ووقـــــــع الأذى، واحتـــــــدام الخطـــــــر[٢٥٣]

ومن كان هذا حاله مع أنيسه وحبيبه الله، يحق له ان يناجيه بدعاء فيه إخلاص وتجرد، في حفظ دعوته، ونشر أنوارها :

(اللهم يامن أجاب نوحا في قومه، ومن نصر إبراهيم على اعدائه، ويا من أرجع يوسف الى يعقوب، ويا من كشف الضرّ عن أيوب، ويا من أجاب دعوة زكريا، ويا من تقبلّ يونس بن متى:

نسألك بأسرار أصحاب هذه الدعوات المستجابات ان تحفظني وتحفظ ناشر هذه الرسائل ورفقاءهم من شرّ شياطين الانس والجن، وانصرنا على اعدائنا، واكشف كربتنا وكربتهم، واشف امراض قلوبنا وقلوبهم ..... آمين آمين آمين[٢٥٤]

وان هذا الدعاء، لدعاء جليل له قدره عند الله، أشبه ما يكون بدعاء الغريق في صدق الالتجاء إليه عز وجل :

يقول حذيفه بن اليمان – الصحابي الجليل (رضي الله عنه): (لَيأتيَنَّ على الناس زمانٌ لا ينجو فيه الا من دعا بدعاءٍ كدعاء الغريق)[٢٥٥]، ليكون هذا الدعاء مستجابا، وقد نجا – رضي الله عنه – هو وجماعته بهذا الدعاء، وهم الآن ملء السمع والبصر، تغمد الله تعالى برحمته ورضوانه.

ونستغيث بالله تعالى أن يشملنا دعاؤه، كما شمل تلميذنا البار الأستاذ إحسان الصالحي مدير مركز بحوث النور، الذي كان يسهم في ترجمتها ونشرها منذ ثلث قرن حسب علمي أو يزيد، هو واخوانه المخلصون، كما ندعوه عزّ وجلّ ان يجمعنا به وبإخوانه في دار الخلد إذ (المرء مع من أحب)[٢٥٦].

اللهم آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ إمام الدعاة

وسيّد الثقلين

وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته

بإخلاص إلى يوم الدين

آمين

---

٢٥٣ عمر بهاء الدين الاميري – من ديوانه (مع الله)
٢٥٤ المكتوبات/٤٤٤.
٢٥٥ حياة الصحابة/ ج٣/٥١١.
٢٥٦ متفق عليه.

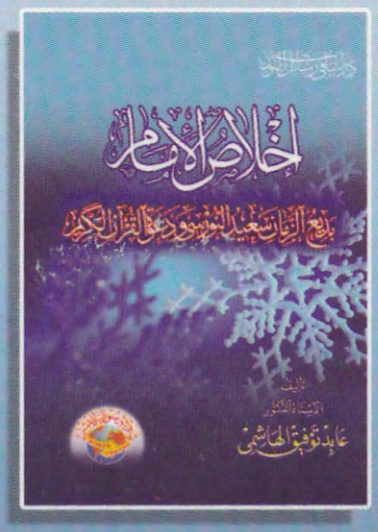

لأن الزمن الحالي يحتاج إلى اعطاء نوع من الدرس القرآني الذي لا يكون في خدمة أي غرض آخر للذين لم يتوصلوا بفطرة العبودية الموجودة في أنفسهم إلى الحقائق الإيمانية التي هي فوق كل شئ، وإلى الذين هم بحاجة إلى فهم هذه الحقائق وذلك باسلوب مؤثر، بحيث يستطيع إنقاذ الإيمان في مثل دنيا الاضطراب هذه التي اختلطت فيها الأمور، ويستطيع اقناع حتى المعاندين وبعث الطمأنينة في نفوسهم، وبذلك يستطيع قصم ظهر الكفر المطلق والضلال المتمرد والمعاند وبذلك يهب القناعة الكاملة للجميع.

ولا تحصل مثل هذه القناعة في الظروف الحالية الاّ عندما يكون الدين بعيداً عن كونه وسيلة لأية غاية شخصية أو دنيوية أو أخروية، مادية كانت أو معنوية.